يوسف عبدالرحمن الملا

شواء الأزاهير

(دراسات فى الأدب والاجتماع)

طبع بالمطبعة الحكومية لوزارة الاعلام

شوك الأزاهير

(دراسات فى الأدب والاجتماع)

تصميم الغلاف والخطوط
بريشة المؤلف



الطبعة الأولى
ديسمبر ١٩٧٨

شوك الأزاهير

(دراسات فى الأدب والاجتماع)

يوسف عبد الرحمن المدلل

لعله إهداء :

إلى أمي .. أرق ابتسامة على ثغر الدهر ،

إلى السواعد السمراء التي تعمل في صمت واصرار واباء ..
لتهب من حولها الخصب والجمال والنماء ،

والى الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا .

يوسف الملا

بسم الله الرحمن الرحيم

تقــدمة

عزيزى القارىء

فى مرحلة الانطلاق والتقدم التى يمر بها وطننا الحبيب فى الوقت الحاضر بفضل الجهود الأمينة المبذولة حيث يحاول اللحاق بالبلدان التى سبقته فى مضمار التصنيع والبناء ، نجد أن للكلمة قيمتها وتأثيرها حينما تأخذ شكلا جديداً ، وتنطلق لتعبر بصدق فتعكس إحساسات الفرد بكل عمل حوله يواكب التطور ٠

وهذا الكتاب فى الواقع خلاصة لبعض المحاولات الأدبية والاجتماعية التى تناقش بعض نواحى الحياة ، وتأتى فى وقت يجد المرء لنفسه دافعا كريما لابداء نظرته لتلك الحياة ٠٠ التى تصطدم بين آن وآخر بمؤثرات تبعدها عن واقعها الانسانى ، بل وتجرها الى هوات تزداد اتساعاً كلما قست عليها الأحداث ، وتضاربت الأفكار لتبعدها عن مواصلة المسيرة الخيّرة ٠

وانني أعتبر فى الوقت ذاته هذه المحاولات أحاديث من فيض الخاطر دونتها الأحداث — كتب لها القدر أن يرى معظمها النور فشغلت حيزاً من صحفنا المحلية ضمن نطاق خليجنا العربى وظل جزءاً يسيراً منها يتوارد على الخاطر رغم الظروف التى أوجدته ٠ ولقد أسعدنى الحظ فى جمع هذه المقالات والبحوث بين دفتى هذا الكتاب والتى تتطرق لجوانب متعددة ، وتطرح موضوعات متفرقة ، ولعل تقسيمات الكتاب جاءت محض الصدفة حيث نجد فى كل قسم موضوعات متقاربة من ناحية المضمون ٠ ولا أعدو الحق اذا قلت ان النية فى جمع هذه المحاولات فى كتاب واحد ولدت لدى

الفكرة بعد ان لاقيت التشجيع المستمر من زملائى لاعطاء القارىء صورة قريبة توحى بثمة عمل أدبى تستقى جذوره ، وتقوى من عزائمه الحركة الفكرية الشابة ، والتى جاءت مكملة لتلك المجاهيد والارهاصات الأدبية فى الماضى حيث أحتضنها جميعا هذا البلد العزيز ٠

لهذا وجدت الفكرة صدى فى نفسى لطبعه ، ولا يسعنى هنا الا ان أسجل بكل اعتزاز هذا الثناء والعرفان الى الذين قدموا لى كل عون ممكن لاظهار هذا الجهد المتواضع الى حيز الوجود ٠ كذلك أقدم جزيل شكرى الى الذين لا يدخرون وسعاً لاتاحة الفرصة لتدعيم مسيرة الركب الأدبى ٠٠ وليست هذه المحاولات الا كخطوة أولى على الطريق وعودة للقائى بك أيها القارىء الكريم ولا أدرى نهاية المطاف ٠

ورغم أن الدروب مليئة فى أغلب الأحيان بالأشواك والصخور الا ان هناك أيد تتشابك لتزرع الأزاهير ، وجهوداً خيرة تتوحد لتقيم على الطريق شمعة تضيىء مسارب الخوف والعتمة ٠٠ حين تنسج من الفكرة والمعنى كلمات تسرى فيها نبض الحياة فتنضح بالعطاء ٠ كذلك يوم نصبح اكثر انطلاقاً وحرية وواقعية نواجه الحياة مرها وحلوها ، شقاءها ونعيمها فنظهر فيها بمزايانا ونقائصنا ٠٠ نكون قد فقنا على وعينا ، وأعدنا الثقة الى نفوسنا فاستولينا على أحجامنا وضعفنا نحو المسيرة الأدبية ٠٠ وادركنا فضل الأيمان بالكلمة الطيبة ٠٠ الكلمة التى توازي في قيمتها عملا انسانيا جليلاً٠

واذا كنت يا عزيزى القارىء قد قدمت لك هذه المحاولات الأدبية ــ فلأننى لا أملك فى هذا المجال سوى بضع كلمات أتمنى ان يكتب لها البقاء فتصل الى مسامعك قبل ان تفقد نبضها فى الطريق ٠ كما أرجو ان لا يكون لقاؤك بها أول مرة ــ لأن ثقتها بك فى أن نقدك لها سيكون قاسيا ، بقدر ما يهبها الطاقة والقدرة التى تمكنها فى المضى والانطلاق نحو الأمام لاجتياز الحواجز ! فما اجدرنا جميعا أن نكون فى مسيرتنا الأدبية هذه ينابيع خير ومحبة ، ونزرع الحياة اخضراراً وأملا ٠٠ لا كشوك الأزاهير الذى يدمى قلوب المجتمع ٠

وانى أسال الله تعالى أن يوفقنا الى مافيه الخير ٠

المؤلف

البحرين ــ ديسمبر ١٩٧٨

القسم الأول :

اساليب ملتوية :

١ ــ اختلاس العضل والعقل ·
٢ ــ شرقيتنا وغربيتهم ·
٣ ــ اكذوبة تاريخية اسمها **العنصر الأبيض !**
٤ ــ الاختيار الصعب ·
٥ ــ الاسلام يتحدى **فلسفات العصر** ·
٦ ــ المفاهيم لدى بعض الدول !
٧ ــ صورة الحرب المصيرية ·

اختلاس العضل والعقل

قوى السلب والنهب فى هذا العالم لا تتورع قطعا فى استخدام مختلف الوسائل والطرق لتصل الى غاياتها الدنيئة فى أى وقت من الاوقات ، ولا تخلو صفحة من صفحات تاريخها الاسود الا وهى ملطخة بمداد الغدر والعار ٠ اذ تتمسك بشتى الحيل والمعاذير وتستهدف من ورائها استنزاف قدرات الشعوب أو التدخل فى ادارة شؤونها وتعطيلها عن المضى فى طريق النهضة والازدهار ٠

ومنذ ان وطأت تلك القوى اقدامها وهى تحاول جاهدة لبث الفرقة واشاعة الفوضى ٠ تارة نجدها تدخل منطقة ما عن طريق ارسال بعثات للتبشير ونشر التعاليم المسيحية زاعمة بقولها انها تقوم باصلاح شئون الناس واخراجهم من الظلمات الى النور كما جرى فى القارة الأفريقية ! وتارة اخرى بحجة تطوير اقتصاد البلاد ورفع دخلها القومى على صيغة شركات أو محطات تموين كما بدأت من أول وهلة كشركة الهند الشرقية ٠

طورا تدخل بدعوة الحفاظ على تراث الانسان الافريقى او غيره ودراسة آدابه ومعتقداته بارسال البعثات الكشفية او على صيغة معدات وآلات للتنقيب وربما كان على هيئة مؤن طبية للقضاء على الاوبئة ومختلف الامراض المعدية ! طورا آخر لصيانة أرواح وممتلكات مواطنيها فى الخارج أو ربما لدعم واقرار السلام والأمن واقامة المبادىء الديمقراطية السليمة ! كما جرى من قبل فى فيتنام والاجزاء الاخرى من جنوب شرق القارة الآسيوية فعن طريق هذا وذاك تصل الى ما تهدف اليه وفى الحقيقة انها لا تسعى الا لرعاية مصالحها الاحتكارية وأطماعها الاقتصادية وتثبيت نظمها !

••••

لم تغب عن الاذهان فى الماضى سياسة التحويل والاذابة التى انتهجتها فرنسا ،والمجازر الوحشية التى نصبها المسلحون الهولنديون ضد قبائل الزولو وغيرها ٠

ما زلنا نذكر آلاف الاطنان من الذهب والفضة والنحاس والقصدير المسلوبة من قلب افريقيا الى الخارج لتعمر به مصانع أوروبا وتشغيل الأيدى العاملة هناك ومن ثم اتخام جيوب الرأسماليين ٠

وما زلنا نتذكر ابحار سفن الاوروبيين من السواحل الشرقية والغربية والجنوبية للقارة الافريقية وهى ملآى بالزنوج الأفريقيين المكبلين بالاصفاد نساء ورجالا وأطفالا يساقون كالسوائم الى أمريكا شمالها وجنوبها ليعمروا بسواعدهم الفتية المدن والقرى ، ولينشئوا المزارع والحقول والعمل فى المصانع حين يتم اختيار الزنوج بعناية لقوتهم العضلية وصحتهم الجسدية ٠ هذه الآلاف المنقولة من الزنوج لم تصل فى الحقيقة منها الا المئات بسبب سوء الاحوال الجوية ومتاعب السفر وربما سوء المعاملة وكان ذلك بين عامى ١٦٥٠ و ١٨٣٥م ــ حتى الغي نظام الرق نهائيا فى أواخر القرن التاسع عشر ٠

فلا نعجب بعد ذلك من تلك المشاعر الفياضة بالنبل ! والاحاسيس الجميلة التى يتمتع بها اولئك الغاصبون وفى مقدمتهم الكتّاب وحملة الأنجيل الذين كانوا فى يوم ما يباركون الخطوات الطيبة لشحنات الزنوج المنقولة الى أمريكا اللاتينية وبعض بلدان اوروبا كفرنسا واسبانيا والبرتغال آنذاك ، « حتى ان بعض الكتاب بات يعتبر هذا العمل حقا مشروعا للاوروبيين البيض وبينهم الكاتبة الانكليزية (مارى كينجزلي) التى تزعم ان الاتجار فى الزنوج ليس الا استدراراً لمال الرأى العام الانكليزى باعتقادهم ان الافريقى البربرى يجب ان تستحل أرضه من أجل الانسانية والمبادىء المسيحية وبالاخص الانسانية الاوروبية ! *

---

* إقرا كتاب دفاع عن افريقيا (سعد زغلول نصار)

ومن الواضح أن الذى دفع البرتغاليين للتمادى فى التجارة هذه على نطاق بشع ودنىء هى المقاومة السلبية المعنوية التى شنها الافريقيون ضدهم وذلك باخفائهم بعض مناطق استخراج المعادن الثمينة · هذه المقاومة جعلت الاوروبيين يفقدون صوابهم فانبروا فى تعذيب وقتل الأبرياء من الافريقيين بدون ذنب حتى يقال ان بعض الاوروبيين يفتك بالافريقى بقصد التسلية وتزجية الوقت · ان اقتناص الشباب وخصوصا شباب افريقيا بالذات لقطع الاخشاب واستخراج المطاط فى الغابات والعمل فى المصانع والمناجم ورصف الطرق وغيرها لهو أعظم دليل على غدر الاوروبيين وقسوتهم وابتعادهم عن ابسط الحقوق الانسانية !

اسلوب جديد :

لقد كانت القوى البغيضة المتسلطة فى السابق تسرق العضل وهى القوة البشرية واليد العاملة عندهم ولاجلهم ، وأما الآن فقد اختلفت الوسيلة مع ان الغاية واحدة الا وهى اختلاس العقول الواعية كالعلماء والاطباء والفنيين والمهندسين ، وذلك لاهداف أهمها الاستفادة من هذه العقول المفكرة بما تملكه من خبرات فى ادارة عجلة التقدم فى بلدانها ومن ثم حرمان شعوب الدول النامية من هذه العقول الواعية باعتبارها عصب التقدم وشريان التطور ·

تشير الدلائل الى أن أمريكا وحدها تنهب سنويا الآلاف من هؤلاء الخبراء والعلماء وتقوم بتوظيفهم فى المعاهد والمعامل وغيرها ·· ولاتزال بعض دول اوروبا تحذو حذو أمريكا !

ربط التخصصات بحاجات الوطن :

والآن ما هى الاجراءات التى يجب ان تتبع لاسترداد العدد غير المستهان به من العلماء والفنيين ؟

اول هذه الامور التى تستوجب الامعان والنظر قبل كل شىء توعية تلك العقول لهذا الخطر الذى يهدد كيان البلاد النامية والعمل على اقناع ذوى الخبرات بالواجب الوطنى المقدس والشعور بالمسئولية عن طريق اسهامهم فى بناء وطنهم وأمتهم وسدادهم بعض الديون للذين أذبلوا زهرات شبابهم فى المزارع وصهرت عظامهم أهوال المصانع · ومن هنا نجد ضرورة فى ربط التخصصات بضرورات المجتمع وحاجاته على قدر الامكان حتى يتمكن هذا الوطن او ذاك لايفاء متطلباته ووضع الحلول الجادة لمشاكله التى تعوق نموه وازدهاره ·

واذا كنا ننادى لربط هذه التخصصات بحاجات الوطن فاننا أيضا نؤمن ان هناك ضرورة لوجود العمل لهذه التخصصات ، ونؤمن كذلك بان العمل حق من حقوق الفرد الاساسية وان على اى وطن ايجاد العمل الذى يتناسب مع ميول أبنائه ومؤهلاتهم وكفاءتهم ، لا مع طبقتهم الاجتماعية او نسب اسرهم وثروات أولياء امورهم بل باعتبار ان هذا الفرد او ذاك عضو مسؤول فى مجتمع مسؤول ، وبهذا نصيب عدة اهداف فى آن واحد وهى :

التقليل من هجرة العلماء والاستفادة من خبراتهم ، سد احتياجات الوطن والاكتفاء من الخبراء الاجانب ، توفير بعض المبالغ المدفوعة ضمن النفقات وتطوير زيادة الانتاج المحلى ·

وبهذا الاسلوب يمكننا ان نحفظ للوطن الالوف من ذوى النبوغ الفكرى الذين لا يتاح لهم ان يظهروا ما يتمتعون به من مقدرة فكرية فائقة لانه لا يتاح لهم من المراكز ما يتناسب مع مقدرتهم عوضا عن اغرائهم بزيادة الاجور وتسهيل طرق العيش والاقامة وغير ذلك كالتى تتبعها تلك الدول حيث ان أوطانهم أحق بهم وأجدى ·



شرقيتنا وغربيتهم

يتطرق الى الاذهان فى هذه الايام حديث مزعوم لفريق من شبابنا آن المدنية الغربية يجب تفضيلها فى كل شىء لصلاحها وغيرها زائف أو لا يلائم العصر ، ثم ابداء وجهة نظرهم من غيرفهم للموضوع أو تعمق للواقع وأطرح هنا بعض هذه الاقوال للايضاح : « ان الدين هو سبب الجمود » المبادئ القومية علة التأخر » « والاحتفاظ بشخصيتنا العربية الاصيلة هو مبعث التخلف »٠

لقد شاءت الظروف ان يندمج هؤلاء القلة من الافراد مع بعض الغربيين الذين لا يهمهم الا مصلحة الغرب والاشادة بذكره ، فامتزجت الافكار عن طريق الصحف والكتب أو وسائل الدعاية الاخرى حيث أن أنوار المدنية الغربية أعشت عيونهم وخلبت أفئدتهم مظاهرها الكاذبة وضلوا فى واديها السحيق وظلوا كذلك غير مكترثين بما تنطوى عليه تقاليدنا وشخصيتنا الشرقية ضاربين بعرض الحائط تلك القيم الاخلاقية السامية ، وناسين أو متناسين تراثنا المجيد وجاحدين لشريعتنا الغراء وما تتضمن فى أعماقها من حقائق ناصعة وعناصر مفيدة تصلح لكل زمان ومكان ٠

ان تلك المدنية التى يتزعمها الغرب تلج أبواب حياتنا وتنفذ الى رحاب افكارنا بدون اذن وتخلط مزيج شخصيتنا خيرها بشرها وهى أشبه بالسيل العرم يندفع بلا هوادة ويدفع فى طريقه ما يلقاه رضى أو كرها فيجرفنا بتياره الهادر فيطوينا كما طوى غيرنا من الامم التى ليس لها حول ولا قوة فى هذه الحياة فلا ارادة ولا عاصم فقضت على قوميتها ومجتمعها وأفنت تقاليدها ومحقت شخصيتها وطمست معالم حضارتها بيد الغرب القاسية التى لا تعرف الاصلاح والفضيلة ٠ والحقيقة ليس من الصواب أن نتصدى له بكل ما لدينا من طاقة متهاونين سطوته العظيمة وبأسه الغادر ــ بل الصواب هو أن نجارى ذلك السيل المتدفق بحزم وتأمل وأن نطاوعه فى بصيرة نيّرة ، خير من أن نكون نحن فى موقف المتفرج !

لقد قيل ان الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ، فهناك معان جمة تنطوى وراء هذه العبارة الحقة ومغزى كبير يقود الفرد لان يدرك ان الشرق يبقى شرقا بروحه وسيماه والغرب أن يظل بماله وما عليه ٠٠ واقصد هنا شرقنا العربى والاسلامى ٠

لست من الذين يتطرفون الى الجمود والتراجع الى الوراء ويستنكرون الجديد الحديث فى كل شئ ويأبون على تركيب الحياة عنصر الحركة والتطور فان سنة الوجود هى التطور والنمو ، بل حينما أدعو الى التمسك بالماضى ألزم من القديم ما يكون شخصيتنا قوية نامية ويصور طابعنا مشرقا ناصعا ، وأكتفى من الجديد الا ما يدعم هذه الشخصية وذلك الطابع الشرقى على النماء والازدهار والسمو فى معترك الحياة ٠

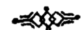
والواقع مهما تجددت مثل تلك العناصر وارتقت فى تكوينها ليس بامكاننا قطع تلك العلاقة الوثيقة بين الماضى والحاضر والتخلص منه ونبذه بعيداً كما يدعى دعاة التجديد هذه الايام فلا يمكن ان ننسى ماضينا الحميد ، تاريخنا الخالد ، شريعتنا السمحة ، قوميتنا الاصيلة ثم العوامل الوراثية فينا ولو عملنا على ازالة معظمها الا أننا نجد أنفسنا أخيرا مرتبطين بالماضى حيث الاقليمية والاجتماعية والجغرافية ٠

ان علينا ان نتفحص خبايا الماضى والحاضر ونتحقق بواطن الجديد والقديم لنختار منه الانفع والافضل لنبنى صرح حاضرنا ومستقبلنا على أسس قوية ثابتة البنيان بالكرامة والعزة ، وحيث أن الغرب سبقنا فى مضمار العلوم والفنون بفضل اكتشافاته واختراعاته وهذا لا غبار عليه مطلقا أن نستفيد من علومه ونقتبس من فنونه الصالحة لتكون معينة لنا على السير نحو التقدم والازدهار شريطة ان تلائم بيئتنا وتوافق شخصيتنا وتنسجم ومبادئنا ـ اما موضاته الخليعة ورقصاته الهستيرية وفنه المبتذل وعاداته المائعة فلا حاجة لنا بها ٠

انه لفرض علينا وواجب تحتمه متطلباتنا الماسة وحاجاتنا الملحة ان نمضى قدما الى الامام كسائر غيرنا من الامم ولكن هذا لا يعنى مطلقا ان يصرفنا من اللفتة الى الوراء لنتقصى التجارب الجليلة التى مرت بها أمتنا الخالدة لدعم خطانا واصلاح اوضاعنا الخاطئة ٠

فلا مجال للنكران والتناقض اذن أن يسير الشرق مع الغرب جنباً الى جنب مندفعين نحو الامام بل النكران أن يذوب كيان الشرق وتفنى معالمه فى لجج المدنية الغربية الزائفة فيفقد بذلك روحه وسيماه الاصيل ويصبح ظلاً له خاليا من الروح والميزات ، فالشرقية يجب قبل كل شيء ان تحتفظ بصفاتها وتثبت للعالم الكبير وجودها وتظهر على الكون بشخصيتها المستقلة ٠

نحن نؤمن فى قرارة نفوسنا أننا لسنا أمة تطلب أى لون من العيش وتلتحق بأى ركب من البشر ولكننا أمة تؤمن بتاريخها وترسم مستقبلها وهى على بصيرة وتعقل من ماضيها « وتدرك أن الزمان والمكان يفرضان عليها الوصية على حضارتها الضخمة التى يضيىء سناها من أمجاد العروبة والاسلام » ، تستسقى من ينابيع الفضيلة والاصلاح أى من ينابيع لا فسوق ولا فوضى !!



اكذوبة تاريخية اسمها ·· العنصر الابيض !

لا أحد ينكر ان أرسطو كان مفكرا وفيلسوفا عظيما ·· ومأساة هذا المفكر الفذ حينذاك انه كان عظيما « وأن هذه العظمة طالما حجبت عن ناظريه أفكار العلماء الذين كانوا أدنى منه عقلا » ! لكن التاريخ حين ارتضى جلائل أعماله الصحيحة الفذة — لم يقبل من غير شك خطأه ومبتدعه الذى أقر فيه بالتمييز حين قسم البشر فى أيامه الى أصناف ·· سادة يديرون دفة الامبراطورية كالاباطرة والنبلاء والجنود ، أو اولئك الذين يقيمون الرأى كالفلاسفة والمفكرين والكهنة — ثم أرقاء مستضعفين ومستخدمين فى فلاحة الارض ، ومزاولة الصناعات اليدوية وأعمال المنزل !

واذا كانت فكرة العنصرية سائدة ، بل ومتوارثة أيضا قبل الميلاد بثلاثة قرون — فلا غرابة ان نجدها منتشرة فى وقتنا الحاضر بشكل فاضح ومريب بين « ذوى الميول » النازية والفاشستية كما يحدث فى جنوب افريقيا ووسطها ، أو أصحاب النزعات العدوانية كشعوب (الشيطان) المختارة واصحاب الدماء الزرقاء كالصهاينة ومن حذا حذوهم فى فلسطين وغيرها من دول العالم !

يقول الدكتور محمد طه بدوي فى كتابه علم العلاقات الدولية :

« لقد برزت أيديولوجية المجال الحيوى فى أفكار هتلر وبرامجه حين نوه عنها من حيث المبدأ فى كتابه كفاحى ، يقول هتلر بأن ثمة وسائل أربعا لتغذية الشعب الالمانى الذى يزداد بمعدل ٩٠٠,٠٠٠ نسمة في كل عام :

* تقييد النسل تقييداً صناعيا كما تفعل فرنسا ·
* المزيد من التعمير ·
* كسب اراض جديدة ·
* كسب مزيد من العملاء لتجارة المانيا فى الخارج » ·

ومن بين هذه الاساليب يختار هتلر غزو الاقاليم الجديدة ، ويطرح نظرية المجال الحيوى ٠٠ لهذا نراه يغزو منطقة الالزاس واللورين والادعاء بفكرة حق الشعوب فى تقرير مصيرها فتتفجر آنذاك الحرب الثانية ٠

والاضطهاد العنصرى يعتمد أساسا على اللون والجنس كما هو الحال فى أمريكا وانجولا ، أو يتم فى مظهره الحديث بسبب تعدد القومية كما يحدث الآن في الارض العربية المحتلة وجنوب افريقيا ٠٠ وربما ارتكزت فى بعض الاحيان على الجنس والمعتقدات معاً كما يلاحظ فى بعض المناطق من العالم اليوم كايرلندا !

ان الانسانية فى أى وقت وحده غير مجزأة ٠٠ ولا اختلاف هنا أو هناك بين الاجناس والالوان والانساب ، مهما كانت تلك التفرقة جزئية أم كلية ، ومهما كانت الغاية التى تكمن وراءها فهى معروفة وجلية لا تغيب عن كل ذى بصيرة فكرة إستعلاء العنصر الابيض فى العالم !

إن احتقار السلالات الاخرى كالسمراء والحمراء والصفراء والسوداء ، غالباً ما كان يتم بتحويل السلطة بيد العنصر الابيض فى العالم بالعنف تارة ، وبالدس تارة والوقيعة تارة اخرى عن طريق استغلال الرأسمال الوطنى ، وعدم أتاحة الفرصة لعمل المواطنين الاصليين ، او تحسين ظروفهم الاجتماعية والصحية والثقافية ، ثم الحد من حقوقهم السياسية والفكرية والعقائدية ٠ وهناك عامل مهم له أثره فى تدعيم العنصرية وهو ظهور حركة التصنيع وهى الاخرى اقتضت استخدام العدد الهائل من المستخدمين بأجور منخفضة بعد أن كانوا فى السابق عماد رواج تجارة الرقيق التى شجعها المغتصبون الهولنديون والانكليز والبرتغاليون ٠٠ وخير دليل على هذا ما يتحدث به كتّابهم ومفكروهم ٠

إن الباعث لهذه الفكرة المادية العدوانية التى تتمثل فى العنف والانانية هو وجود أقليات فى مجتمع غالبيته من المواطنين الاصليين تستأثر بالسلطة والتمركز وتنفرد بالثروات وتبخس المواطنين حقهم فى العيش كما هو فى جنوب افريقيا وروديسيا وأستراليا ! ولا نجانب الحقيقة حين نرى هذه الروح العنصرية تزداد حدة وضراوة حين تحرم أقلية سوداء من المواطنين من ممارسة أبسط الحقوق الانسانية فى مجتمع تشكل غالبيته من البيض كما فى أمريكا !

كذلك فان التفرقة فى أصول المهن تقيم جداراً منيعاً بين اصحاب الملكيات الكبيرة والمستغلين من جهة ، وبين أصحاب المهن والحرف المختلفة من جهة أخرى ، وتكون فى الواقع ناتجة عن وجود قومية أخرى تناهض وتناقض القومية التى تنادى بهذا الاضطهاد ، وتزعم شرعية الارض كما تنتهجها العصابات الاسرائيلية فى أرضنا العربية المحتلة ٠

إن السؤال الذى يفرض نفسه فى أى وقت ٠٠ هل للتمييز العنصرى فارق ثقافى أو أقتصادى أو أجتماعى أو بيولوجى حتى يظل هكذا ذريعة للمتشبثين به ، أم أن الاختلاف هو فى طرق المعيشة ومستوى الحياة وتقدم الحضارة ، ومن ثم المشاعر والعواطف ؟ وهل من الحكمة والمنطق فى شىء حين نسمع تلك الحجة المساقة على لسان زعيمة الطائفة البيضاء آنذاك فى كينيا ٠٠ من أن العنصر الاسود والملون ليس فى نهجهم الفكرى والاجتماعى – كلمات – تعبّر عن الاحسان والحب والوفاء والصمود والشجاعة ؟

إذا كانت المسألة مساواة بالثقافة ، ففى السود والملونين من هو أبرع وأذكى من البيض ٠٠ اذ تمتلىء افريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا بأطباء ومخترعين وعلماء وموسيقيين ٠٠ واذا كانت فى فن الصناعة والحرف الاخرى ، فهم فى الواقع أمهر من البيض فى بعض الصناعات والمهن ، وأما اذا كان الاختلاف فى القدرة على احتمال العمل وغيره ، فهم غالبا ما يكونون اكثر جلداً وصبراً وخاصة الاعمال الشاقة الصعبة منها ٠

اذن قد تكون النظرة عند البيض مبعثها الناحية البيولوجية ! لكن الملاحظ والمؤكد علمياً أن اختلاف العناصر من الناحية البيولوجية مثلا لا يدفع الى انحطاط النبوغ العقلى والطبيعى ٠٠ بل يعتمد فى الغالب على صحة ابدان الاشخاص ، وسلامة تكوينهم الجسمانى ٠ لقد وردت فى بعض النصوص الفرعونية منذ آلاف السنين « ان تحسن النسل الذى يتكون عادة من اتحاد سلالتين مختلفتين يكون اقوى صحيا وعقليا » ٠ ومن العجب هنا أن الامريكيين أو غيرهم من البيض اختلطوا منذ عشرات السنين بالسلالة الاسبانية والهنود الحمر والعنصر المغولى ٠٠ فما الذى يمنع الاوروبيين فى تناسلهم مع الامريكيين السود أو الافارقة ؟ وهل عناصر الدم الاوروبى افضل من عناصر الدم البرتغالى فى البرازيل والمغولي فى اليابان ، أم أن العناصر الوراثية عند الهنود يا ترى اكثر نقاء وصحة من السود فى اكثر اجزاء افريقيا وامريكا اللاتينية ؟ !

إن هناك اكثر من علامة استفهام تحتاج الى الوقوف عندها لنرى كنه تلك التفرقة البغيضة التى يشجعها الداعون لها فى العالم ، وان لم يتظاهروا بذلك فى يوم ما !! أترى هذا التمييز العرقى قد جاء نتيجة لتقدم الغرب فى الثورة الصناعية ؟ !

من خلال حديثنا المقتضب نتطرق الى الثورة الصناعية التى يتباها بها الغرب وأوروبا ، نجد أن تلك الثورة ليست الا جزءاً يسيراً من تقدم الانسانية فى مسارها الطويل المضني عبر آلاف السنين ! « واذا كانت أصول الحضارة قد نبعت فعلا من أوروبا والغرب ،فما رأيهم فى العلوم الرياضية ، صناعة الورق والحرير ، تركيب الاصباغ ، تحويل المعادن ، وغيرها من التراكيب النباتية المستخدمة فى المجالات الطبية الحديثة ٠٠ بل وغيرها من الصناعات التى لم يكن للانسان الغربى علم بها آنذاك » !(*)

(*) راجع كتاب الاسلام والمشكلة العنصرية ٠ للاستاذ عبدالحميد العبادي ٠

ورغم أن هناك دون شك أماكن اشتهرت بتقدمها الحضارى قبل آلاف السنين ــ ألم يكن الاحتفاظ بالحضارة ·· أى بنوع معين من الآداب ، والتقاليد ، والمناهج السياسية شيئاً ، والتمسك بالتمييز العرقى وغيره شيئاً آخر ؟ !

غير أن نماذج هذه التفرقة تختلف من منطقة الى أخرى فى العالم ، حيث نجد ان المقوّمات الشخصية العنصرية تجعلها قوية مستبدة عند فئة ، وتمتاز به عند الاخرى رغم كونها تشكل وحدة فى الهدف والنوايا ! فهناك مثلا التناقض الشاسع فى علاقات ومعاملات الافراد الخاصة والعامة ، الاختلاف فى الحقوق السياسية والدستورية كما يشمل ضريبة الرأس فى بعض الاحيان ، واختلاف الاجور والتنقل بتصاريح بالنسبة للمواطنين الاصليين فى موطنهم ، كما هو الحال فى جنوب افريقيا !

حين ننظر الى الحياة فى أمريكا ــ بلد الرخاء الاقتصادى والرأسمالية ــ نجد التمييز العرقى بعينه ·· فبالرغم من أن الدستور الامريكى ينص على تساوى الحقوق العامة والخاصة ، الا ان المشكلة اصبحت الآن اجتماعية واقتصادية بحتة بما فى نلك تلك النظرة التاريخية التى يعتمد اكثر البيض على أساسها ان اولئك السود ارقاء لا غير ! اذ مازالت الطبقات الرأسمالية تستنزف القوى البشرية مع عدم مراعاة حقوقهم الثقافية والاجتماعية والصحية ···

يقول الكاتب الامريكى هارنغتون ، عن السود فى كتابه « الوجه الآخر لأمريكا » ، الفصل الرابع وهو تحت عنوان ــ لا مكان للسود :

« إن الفاقة التى يعانيها السود فذة متفردة من كل النواحى فقد تشكلت فى خلال التاريخ الامريكى الطويل ، وهى تعبّر عن نفسها من خلال ثقافة سفلى تستند الى قاعدة مشتركة من الظلم العنصرى والاقتصادى ، وهو أمر واقع تفرضه امريكا البيضاء من الخارج · وهذا الانطباع يحس به المرء



مشكلة الزنوج ·· مشكلة قديمة فى امريكا يرجع تاريخها الى أوائل القرن السابع الميلادى ·

عندما يمر بشوارع الحي الزنجي ٠٠ فمن وراء الاحصائيات يرى المرء الوجوه والمواقف ، الخوف ، طريقة تناول الطعام ، الديانة ، السياحة التى يتخذها الفقر الاسود ٠ فاذا تأمل المرء فى أول الامر سطح حياة السود اتضحت له رؤيا انسانية من اللوحات الاقتصادية والاجتماعية القاسية التى تترجم هذه الحياة فى أرقام » ٠

واخيرا نرى ضمن هذه التركيبة الخبيثة من العنصرية فى وقت من الأوقات ، تفرقتين أو اكثر كما تسلكها العصابات الصهيونية فى الارض العربية المحتلة ، ولكل تفرقة اسلوب خاص حيث يوجد الاضطهاد العنصرى بين يهود الشرق والغرب ٠٠ اذ أن يهود الغرب لهم من الحقوق والاجور والمراكز والامتيازات افضل مما يتمتع به الشرقيون ! أما الاسلوب الآخر فأشد ضراوة وبشاعة بالنسبة للعرب الفلسطينيين اصحاب البلاد الشرعيين حيث أن العسكرية الاسرائيلية ماضية فى وضع مخططها البشع ، وذلك باتباع الاساليب التالية :

* إبعاد العرب عن اراضيهم ، او حصرهم فى أماكن محدودة لا يتوفر فيها ٨٠٪ من الماء والكهرباء ووسائل التثقيف والترفيه والصحة !

* الحد من تعليم أبناء العرب ، وتنحيتهم عن الحقل الثقافى بشتى السبل ـ فى الوقت الذى نلمس فيه التعليم متقدماً جداً عند الاسرائيليين !

* أجر العامل العربي يوازى ثلث أجر العامل الاسرائيلى لنفس العمل ، مع أن العرب أعمالهم مؤقتة وتنتهى بانتهاء العمل ـ أما العمال الاسرائيليون فهم عمال دائمون !

* عدم السماح للعرب بالتنقل من قرية الى أخرى الا بتصاريح ، وياسباب موضحة مسبقا ـ رغم ان المستوطنين الاسرائيليين لهم حرية التنقل والحركة دون تصاريح !

* وأخيرا ، وضع العمال العرب فى « الاعمال السوداء » كما يطلقون عليها ، وتشمل أعمال البناء والتنظيف وشق الترع والمجارى ، مما لا توفر لدى العامل العربى مستوى حضاريا أو ثقافيا ، ولا تكسبه هذه المهنة مهارة وتقدما ٠٠ بل قد تكون هذه الاعمال حكرا عليهم ، وحيث لا تتاح لهم فرصة اكبر للعمل فى الانتاج والتطوير ٠

لكن هذه التفرقة قد فشلت فى اتباع خطتها فى الأرض المحتلة ، فأخذت طريقها الى الاندحار تدريجيا بسبب الحركات المعادية لها ، وعن طريق المقاطعة او الرفض الذى انتهجها المواطنون العرب الاصليون ٠٠ بل عجز النظام الاسرائيلى عن تطبيق خططه بسبب صلابة وصمود العرب هناك ٠

لهذا نجد إن العنصرية مهما تعددت صنوفها ، وتباينت اشكالها فانها معطلة لجهود الفرد ، ومنقصة لقيمته ومحطة لكرامته ٠٠ إن الانسان الذى يسعى جاهدا ، ويعمل فى صمت واصرار وإباء ليهب النماء والخصب لغيره ، ويسعد الملايين من حوله ، لا يحق لنا أن نقيس مجهوده بلونه وجنسه وقوميته !

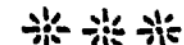
على أن الخلاص من التمييز العنصرى أولا وأخيرا على معاهدة الايمان والعقيدة الاسلامية التى تناهض الفوارق الطبقية ، واستعباد الانسان لاخيه الانسان ، ثم بالتحرك الجماعى على الصعيدين السياسى والاجتماعى ٠ ويحضرنى قول للخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه حيث يرد به على عامله فى مصر : "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا" ، ويكفينا فخرا أن قانون حقوق الانسان بعد ألف وثلاثمائة سنة جاء ليشرع للدول فى مادته الاولى حقوق الافراد التى اقرها الاسلام وحددها ٠

كذلك يمكننا الخلاص من هذه العنصرية مثلا مساندة حركات التحرر

العالمى فى جميع الدول المحبة والمؤمنة بالسلام والعدالة ، والداعية الى تدعيم حقوق وحرية الشعوب وتقرير مصائرها والمناهضة ابدا لمناطق النفوذ ٠٠ وبامكان تلك الدول توحيد حركاتها وجهودها فى سائر بلدان افريقيا وامريكا اللاتينية ، وتجديد ما لها من صلة وثيقة بالهيئات الدولية ، والمساندة ايضا للنضال والمناصرة للعدل فى العالم ٠

فعن طريق اتباع تلك الوسائل والسبل تتشكل جبهة صلبة ، وهدف تتمثل فيه الارادة المتمكنة والقوية للقضاء على أى مخطط يدعم اغراض العنصرية والتى تعادى فى مقاصدها التقدم الانسانى وحركة التاريخ ٠

وسواء كانت تلك الظروف الاجتماعية والسياسية ، وكذا الوازع القومى والعقائدى ينابيع يستقى منها الغرب والصهيونية العالمية والمتطرفون فى أوروبا اضطهادهم العنصرى ليزيفوا به قطعاً وجه الحقيقة الناصع ــ فلم يعد حق للرجل الابيض فى هذا الوجود ليمارس استعلائه ، ويحكم الاجناس الاخرى بحجة امتيازه على السلالات الاخرى فى العقل والخلق والصفات النفسية ! فلو كتبت لرواد العنصرية ــ جورج لابوجيه ، وارنست رينان ، وهرمان جوش وهتلر الحياة الى يومنا هذا ، لرأوا بأنفسهم الآن مكانة الاجناس الاخرى ، ولهوت تلك الاكذوبة التى تتحدث عن « بطلان المساواة بين الاجناس » ٠٠ بل وانتهت الى الأبد رسالة الرجل الابيض ! ! لهذا نجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يفى الموضوع حقه حين يقول « كلكم سواسية كأسنان المشط » ٠



الاختيار الصعب

الدول الكبرى لاتكلف نفسها فى أى وقت غير اصدار القرارات ، ترديد التصريحات الجميلة من الناحية الشكلية ، لكنها قرارات حبر على أوراق الجرائد والمجلات ، وتصريحات فارغة من ناحية المضمون ، وخالية من الشعور بالمسئولية ·· جُملا مستمدة من قواميس الفلسفة السياسية تطالعنا بها الصحف كل شارقة شمس حين تصدرها مطابع الغرب والشرق على حد سواء·

إن تلك الدول لا تكف لحظة عن ترديد الشعارات والالفاظ التى تدعو للحرية والعدالة والسلام ، ولكنها تدخل عليها ما تشاء تعديلا يحول تلك القيم والمبادىء الى فتات زهيد يفقد كل سماتها فى الوقت الذى هى عاجزة عن تحقيق الحد الأدنى من النصر من العقيدة الانسانية ·· وبصراحة مبسطة ، إنها متاجرة كلامية وحديث مستهلك يستغل وقت الحاجة ، وعند الطلب وحسب الظروف !

ولنوغل فى التحليل اكثر من نلك ، نجد ان تلك الدول لاهم لها إلا مقاومة الشعوب الصغيرة ، المغلوبة على أمرها ، والمحدودة فى دخلها واقتصادها ، والمتعثرة فى خطواتها نحو الصناعة ·· كل ذلك لكى تستمر آمالها ، وتسعى جادة لتحقيق رغباتها وأطماعها عن طريق متشعب يتضمن المحاورة ، الدس ، الوقيعة والاغراء ·· وليس غريباً أن تستدعى الارهاب والعنف تارة ·· والخديعة والتزييف تارةأخرى !

ما اكثرها تلك التلونات التى تبعث على التقيؤ والاشمئزاز والتى تشمل سيلا متدفقاً من المعانى التى لاتخلو من الشك والالتباس ، وكما يحلو لهم يطلقون عليها تارة العدالة واعادة ميزان القوى والحلول السلمية ، وتارة أخرى تطوير الشعوب النامية والأمن القومى وآلاف الكلمات المنمقة التى تنطلق من رحاب الدول الكبرى ! وما أقسى تلك المزاوجات اللفظية التى تتحدث عنها صحفها ، ومؤتمراتها وبين أروقة قاعاتها المغلقة ·

إن نلك الكلام الذى يعتبر عندهم بمثابة الحكمة والسداد ، والأمل لايساوى غير حديث مستهلك وعبارات ممجوجة ! فالسلام يعنى الأمن لوجودها واطماعها التوسعية ، والدعوة الى تنمية اقتصاد العالم الثالث ماهى إلا دعم لإقتصادها وتقوية نفوذها فى مختلف المناطق ٠

ولا نستغرب بعد نلك ، اذ لاوجه للغرابة حين نجد الأحداث تأخذ بعضاً من سمات الواقع ، ولكنه « واقع » مع ايقاف التنفيذ كما يقال فى لغة القانون ٠٠ بل أن روح الحرية تسقط مغشية عليها حين تفسر مقاومة الشعوب المؤمنة بحقها فى الحياة الحرة الكريمة هو تمرد وعصيان وحيث تتنصل فيه الدول الكبرى عن مسئوليتها التاريخية والوطنية ! وليس ببعيد أن تنظر تلك الدول لأى تطور حتمى للتاريخ وماتصحبه من انتفاضة تطالب بالتجديد ، وتنادى بأبسط مبادىء العدل والمساواة والعيش بسلام على إنه اعتداء على مواطنيها فى الخارج ، واقلاق لأمنهم حين تجد الفرصة مواتية للتدخل والاحتلال كما حدث فى جنوب شرق آسيا وقبلها فى افريقيا !

ومن يدرى ، لعل اغداق الدول الكبرى للدول الموالية لها والتى تدور فى فلكها بمختلف أسلحة الفتك والدمار حسب مفهومها بأنه تعديل فى ميزان القوى ، وأما صرف الأموال الطائلة لانتاج مختلف ادوات الحرب تسميه نزعاً للسلاح ، واحتلال أراض الغير بالقوة واقامة المستوطنات تعتبره مقترحات سلام وحدود آمنة وتعايش سلمي !

هكذا ٠٠ وبكل بساطة ، وبمرور الأيام نرى تلك الدول البغيضة ومن يتشبث بذيلها كيف تدرّج سلطانها بالعنف والعدوان أو اللامبالاة حين تتفاهم مع الآخرين تارة بلغة السلاح والارهاب ، وتارة أخرى بالمحاورة والحذلقة السياسية - عندها فقط تضيع وسط الزحام أسس العدل وتختل معايير الحكمة ، وحين تتزلزل الأرض تحت قواعد تلك النصب والتماثيل.. تماثيل الحرية المنصوبة فى الحدائق العامة والميادين الفسيحة ، وتبقى حينئذ قوانين حقوق الانسان ، ومبادىء الحرية والمساواة والاخاء عبارات ممجوجة كانت فى يوم ما تتوارد فى خاطر (نابليون) ، وفى كتب الفلسفة ٠

ومهما شرعت الدول المتسلطة تبدع القواعد والنظم ، وتضع ما يحلو لها من تصريحات وتقدم مختلف المبادرات لحصر الشعوب وخرق حقوقها ـ فان الشعوب الواعية المتمسكة بحقوقها ، والمؤمنة بتقرير مصائرها فى الحياة تدرك تماماً ما ينبثق ويتجدد حولها من تطورات وتحولات فى العالم ، فلا تنسى قطعاً واجبها الوطني والقومي ٠

على أن تلك الشعوب فى الدول الصغيرة لاتريد فى أى وقت من الأوقات الخوض فى هذا الليل الحالك ، ولا إرتياد ذلك الخضم الهالك الذى اراد لها غيرها لاغراقها فيه ، وترفض بشدة الانصياع والتراجع فى اى وقت حين يقصد زعزعة كيان إنسانيتها أو انتزاع حقوقها واهدافها السامية ومبادئها القومية وقيمها الروحية !

وحين نفضت تلك الدول الصغيرة عن نفسها بقايا الأحلام الدخيلة والشحيحة ـ ربما أرادت يوماً أن تنشىء فكراً جديداً ، وتظهر بسمة جديدة آملة فى الوصول الى حياة تضمن لها مستقبلها وتسترد فيه اعتبارها ، بينما نرى أندادها ترفض دفع « الجزية » حين تستأنف المسيرة وتعصف فى طريقها تلك النماذج التى تتبنى لنفسها المحاكاة والتقليد (الكاريكاتيرى) ٠

إن القيم لاتتجزأ والمبادىء والمثل العليا نحسبها فى كل وقت لها أهدافها النبيلة سيان كانت فى فلسطين المحتلة أو فى افريقيا أو امريكا اللاتينية او جنوب آسيا وغربها ! والتاريخ الذى لا يكف قطعاً عن الحركة ٠٠ يشهد كذلك كل مرة فترات وجيزة من انتقام المضطهدين الذين هم يصرّون دائماً على عدم تجميد الدماء فى الشرايين ، بل يظهرون فى هذا العالم « بلغة جديدة » تشتق كلماتها من الصمود والتحدى حين تجد لأعمالهم صدى لكلمة الرجل العجوز :(١)

(١) الرجل العجوز والبحر تاليف ارنست همنجواى.



بالايمان والفداء تسترد الأرض المغتصبة ، وتصان **الكرامة** ٠

« من الممكن تدمير الانسان ولكن ليس من الممكن قهره» !

إن تلك اللغة الجديدة تتقنها الشعوب الصامدة الآمنة المحبة للعدل والمتطلعة أبداً إلى الاستقرار ٠٠ انه بحق ايمان يتعدى كل الاغراءات والوعود ، وكرامة لا تعبأ بألوان المساومات والاجتماعات المغلقة والأطر القديمة الجاهزة ! اصحاب هذه اللغة يوقنون فى قرارة نفوسهم بأن صروح الوطنية لاترفع الا بسواعد ابنائهم الفتية ، واسترداد الكرامة والوطن لا يأتى إلا بفضل الدفاع عن المبادىء الانسانية الخيّرة عندما تنسكب كل قطرة دم لتنبت مكانها زنبقة أو زهرة تقاوم صلابة التربة ، وتقلبات الفصول !

وعندما لا يبقى ملجأ للقوى العظيمة المقتنعة بالعنف والضغوط والاتجاه الى حصر الدول الصغيرة داخل مناطق النفوذ ـ فليس حينئذ للمضطهدين الذين يحملون عذابات السنين ويحلمون باستعادة الأرض والحرية إلا اختيار واحد هو ٠٠ الاختيار بين العبودية والسيادة ، بين الوقوف أو استكمال الطريق ، وبين الخمول أو البناء والتصميم ٠٠ وبالتالى فقط تنتفى تلك المزاوجات اللفظية إلى الأبد !



الاسلام يتحدى فلسفات العصر

بحثوا ، وابتكروا واجهدوا عقولهم وافكارهم وخرجوا بعشرات النظريات والمذاهب والمدارس والفلسفات ، ولكنهم اقرّوا فى النهاية بعظمة الاسلام ، وعبقريته فى حل مشكلات الانسان والمجتمع والعالم ·

ليس ثمة شك في أن الانسان سيظل كما هو اذا ما اعتمد على ذاتية نفسه وهو ينهل من مصاف الحياة وسيأتي وقت يضل فيه عن جادة الطريق حيث يتخبط بين هذا الرأى وذاك وإن كان على قدر كاف من التعقل والتدبر ومهما بذل من المجهود الفكري في التأمل والاستنباط · قال الله تعالى «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » الاسراء ٨٥ · لذلك شاءت حكمة الخالق جل وعلا أن تهبنا الرشاد والحكمة والهُدى والتوجيه عن طريق الشريعة لانتهاج السبيل القويم بقصد معرفة وصون حقوق الآخرين مع ادراك حقوقنا ثم اداء الواجبات المكلفين بها ·

وفى هذه الحياة التى تصطرع فيها الاهواء وتتعدد المتناقضات قد تمكننا النفوس من الصمود أحياناً تجاه مشكلة ما لفترة قد تطول أو تقصر بقدر ما ننتهج من اساليب تقودنا الى أنسب الحلول فى حين أن بعض النتائج التى نتوقعها لاتفى حتى بالغرض بعد جني الثمار · من هنا كان لابد من وجود شريعة تتوخى آدابها وتعاليمها إقامة الحلول وتذليل شتى المصاعب واعطاء الدواء الناجع للداء ، كذلك لابد من وجود وعي عميق وواسع يحيط بكل مايصادف ويطرأ على حياة البشر ، بل قوة كبرى تدير هذا الكون الشاسع وتنسق شئونه ·· قوة عظيمة أقوى واقدر واعظم ادراكاً من القوى الأخرى ، تتمثل في شرع الله · قال تعالى « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة » الأعراف ٥٢

إن الذكاء الانساني الذى يتسم به عقل الفرد لا يستوعب أسرار هذا الكون العظيم ولايدرك موازين الحياة وسيأتي يوم يجد الانسان نفسه عاجزاً عن ادراك أدق الأمور وأصغرها فكيف اذا عظمت الأمور٠٠ يقول جيته الألماني في كتابه آلام فارتر « إن الانسان هو الانسان في كل زمان ومكان ، وإن قليلا من الذكاء الذى أوتيه لا يغني عنه فتيلا اذا ما حكم هواه وهاجت ميوله ورأى نفسه محصوراً في حدود الانسانية ومآزقها » (*)

هكذا جاءت الشريعة السماوية المتمثلة في الاسلام لتكون دعما للعلاقات الانسانية ومبادىء الحرية والعدل ، وتوكيداً جاداً لتطلعات المجموع نحو الأفضل ، وتثبيتاً لقوى الحق والخير تجاه مطامع الفرد واستغلاله وتعسفه للآخرين وهذا ما لا نجده قطعاً في اي اسلوب فردى أو أية قوانين وضعية منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا ٠

وما أغرب أن تتعدد المذاهب الفردية التى يدعو إليها أصحابها في هذا المجال وما اكثر العقائد التى تطل برأسها من وقت الى آخر ٠٠ بيد أنها جميعاً لم تصل حتى الآن الى مشارف الحقيقة والكمال ، بل تاه أصحابها في منتصف الطريق وفي خضم الآراء ٠٠ متأرجحين بين هذا الرأي وذلك ! يقول تعالى « وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم » الأنعام ١١٩ ٠

وبالرغم من أن ابواب الاجتهاد لم توصد في وجوه مختلف العلماء والمفكرين والفلاسفة ٠٠ وغيرهم من أولى العزم ! نجد أن المنطقيين الوضعيين يتمسكون برأي ، والوجوديين يحتمون برأي آخر بينما نجد فارقا كبيراً في ذلك لدى مايسمون بالماديين والذين وصفوا أنفسهم بالواقعيين الجدد ـ ثم كان غثاء كغثاء السيل ٠ قال الله عز وجل « ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه الباطل » لقمان ٣٠

(*) آلام فارتر ٠٠٠ ترجمة احمد حسن الزيات

وبالرغم أيضا من تلك المجاهيد التى أنهكت عقول الباحثين والمفكرين لاحتواء تلك المعتقدات والمناهج غير أنها جميعاً لم تأت بنتيجة صحيحة ومثمرة ــ غير تعدد الآراء والاتجاهات ، حيث كانت الأولى تناقض الأخرى ٠٠ فهناك فئة منهم تعتقد بما فوق المادة أو الطبيعة ، وأخرى تطمئن للقيم وتهمل النواحي الأخرى ، بينما فئة ثالثة تلعلع وتنادى بالانسانية كقناع في حين تخفي في حقيقة أمرها تعصبها العرقي ! وفئة رابعة تنكر القيم والأخلاق حيناً وتؤيدها حيناً آخر ــ وهكذا !!

وهكذا أيضاً واصلت وتواصل عقيدة الاسلام وشرعه السامي المسيرة الحازمة لتشق الطريق وهي تفرض نفسها على كل عالم ومفكر وباحث وفيلسوف مهما تسامى فكره واتسعت آفاق معرفته ، بل مهما أوتي من علم وهكذا في كل وهلة تثير الشريعة السمحاء وقعاً لدى الاسماع حين تثبت وجودها بصلابة وتؤكد للجميع فاعليتها مع الزمن مهما تلوّنت الاجتهادات ، وسعت المحاولات لدحضها أو اتجهت النوايا يوما لطمس مناهجها ٠ قال تعالى « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره وَلو كره الكافرون » التوبة ٣٢ ٠

ويحضرني هنا رأي قرأته للمستشرق المعاصر هاملتون جب اذ يقول في مؤلفه ــ دراسات في حضارة الاسلام : « فالقرآن لا يحتوى بسطاً فلسفياً أو منظماً في شئون الايمان والمعتقد ، ولكن الذي يحققه هو أنه يحول التفكير الديني إذ يهيىء له مثلا علياء جديدة ، ويزوده حقائق ورموزاً جديدة ليركز فيها تأمله ٠ كما أنه يعيد توجيه الحياة الدينية اذ ينصب أمامها أهدافاً جديدة ويزود ضروب نشاطها العلمي بمسارب جديدة » ٠

فلا عجب اذن أن تظل الشريعة الاسلامية تؤدى دورها الجاد النبيل مهما إرتقت العلوم وتقدمت حضارة الأمم ٠ فلا نعدو الحق اذا قلنا أن هذا الفرد كما نسميه الانسان ، وليس كما يوصفه أنصار نظرية « النشوء والارتقاء »

بالحيوان الناطق إن جاز تعبيرهم ، ولن يصح مطلقاً ! هذا الانسان بحاجة الى وجهة سليمة تصون حقوقه وحقوق الآخرين أمثاله ، والى سبيل يقوم ما انحرف من سلوكه لأن في تهذيب نفسيته عودة له إلى احترام الواجبات وتقدير المسئوليات ، كي لايقع الفرد عرضة للأخطاء أو فريسة للملابسات ٠ قال تعالى « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » الحج ٨ ٠

الانسان والحيوان :

ولنتأمل سريعاً ذلك الحيوان السائم الأعجم حين يوجب علينا إطعامه ورعايته وايواؤه في مكان أمين يحفظ له سلامته حيث نحجزه في حظيرة أو ما شابه ذلك شريطة أن نأخذ على عاتقنا حمايته ، وما أن نهمله يوماً حين ينصرف عن مكانه ومأواه يظل على غير هدى وقد يتعرض للهلاك أو السقوط في بئر من الآبار أو يكون عرضة للافتراس من قبل الوحوش الكاسرة ـ وما أحرى أن يكون الانسان اكثر تعقلا واعمق فكراً للتمسك بجادة الطريق والكف عن المحارم والابتعاد عن الدنايا والرذيلة وسبل الهلاك ٠٠ فالانسان الذي يعطل عقله عن التفكير والتأمل ، يصبح كالأنعام بل هو أضل سبيلا ٠ *

قال تعالى « ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين » البلد ٧/١٠ ٠

ويقول أيضاً « إنا هديناه السبيل إما شاكراً واما كفوراً » الانسان ٣

---

* اقرا كتاب المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام : تاليف الشيخ محمد ابو زهرة

إن الانسان الذى تتوزع تصرفاته وسلوكه بين ألوان شتى من العواطف والأخاسيس والأفكار هو بحاجة أيضا الى شريعة تحتويه وترعاه ، وعلى سبيل أن توجهه أو تحيطه اذا ضل سواء السبيل ، وليس بعد هذا معقولا أن يعتنق الانسان مذهبا هو يحتويه ، في الوقت الذي يشكله حسبما تمليه إرادته ــ رغم انتمائه هو للانسانية ٠٠ كيف تكون الشريعة هنا شريعة تقرر وتحتوى البشر اذا كانت في يوم ما ، هي رهن تغييرات يطرحها الأفراد وتطبق كما يشاؤون بل كما يشتهون ؟!

يقول استاذنا الكبير عباس محمود العقاد في كتابه (عقائد المفكرين) :

« فنحن قد نفسر احترام القانون بانتماء الانسان الى المجتمع ، وقد نفسر إحترامه للاخلاق الحسنة بانتمائه الى الانسانية ، ولكننا لانفسر التدين بهذا ولا بذاك ٠ إنما يتدين الانسان لأنه يهتم بمصيره ومعنى وجوده ويطلب له قراراً أوسع جداً من علاقاته الانسانية أو علاقاته بالمجتمع ، ويجب أن يطلب عقيدة تحتويه ولا يكتفى بعقيدة يحتويها ويريدها كما يشاء » *

على أن تلك الديانات السماوية الكبيرة هي أول ما إتجهت إليه كان لخير المجموع ، بعد أن نادت بالايمان بالله عز وجل ثم الايمان بكرامة الانسان الفرد الذي أسهم في الحضارة فكان وجوده ضرورياً للحياة ولبناء المجتمع ، فنجد أن الاسلام يضع في الاعتبار بادىء ذي بدء أن مصلحة الفرد لايجب أن تطغى على مصلحة الافراد ، ولا تهدر في الوقت نفسه قيمة الفرد إرضاء للمجموع ولكن هناك عدل ٠٠ نعم إنه عدل سماوي ٠

---

* إقرا كتاب عقائد المفكرين ٠

اختيار الطريق :

واذا كان للانسان ضرورة حتمية لاختيار الطريق السوي واعتبار حقوق الآخرين وتقدير المسئولية فانه لابد من الورود الى نلك المنهل العذب الصافي والانقياد لشريعة السماء ـ شريعة العدل ـ المتمثلة في الاسلام ، وبهذا يكون في إلتزامه بعيداً كل البعد عن الانانية والانحطاط والفوضى ، حقاً إنها عقيدة وشريعة تخلو من الالتباس وتدعو الى الايمان والشعور بالعمل لأنها تشكل روح التاريخ ، وكيان الحضارات ٠

إن عظمة الشريعة الاسلامية فيها من الخصال ما تستغنى به عن المديح والثناء ، ولكن هناك من العلماء والمفكرين المنصفين الذين لاتخلو آراؤهم من الاشادة بعظمة الاسلام وشريعته الغراء مؤمنين أن تعاليمه السمحاء هي خير اسلوب ومبدأ يحفظان للحياة قيمتها ٠٠ ونذكر هنا مثلا من العلماء الذين تفهموا كنه العقيدة واستبانوا موقف الدين الحنيف من الكون والانسان والاخلاق والحقوق ـ العلامة والمؤرخ آرنولد توينبي وديكوروا وادوارد برون وتوماس كارليل وغيرهم كثيرون :

ولآرنولد توينبي رأي يناقش فيه مكانة الدين بالنسبة لمستقبل الحضارة فيقول :

« الدين الصحيح ـ هو الايمان الحق ، والشعور الحق ، يتجليان تجلياً فعالا في العمل الحق ٠ وبغير العمل الحق تنعدم الفضيلة الاجتماعية في الايمان والشعور ٠ أما الايمان الحق ، فهو الاعتراف بأن عقولنا نحن البشر

لاتستطيع أن تفهم سوى جزء يسير من الكون العظيم ، وأن قدرتنا حيال قواه التى لاتحد ، أعجز من الطفل حيال المارد الجبار ٠٠ وأن في الكون ومن ورائه ، كياناً روحياً أعظم من ذواتنا بما لا يقاس ولنصفه بكلمتى « الحقيقة المطلقة » ٠ أما الشعور الحق فهو شعور الخشوع والانبهار ، أمام ألغاز الكون وشعور الدعة أمام الحقيقة المطلقة ٠ أما العمل الحق فهو التوفيق ٠٠ بين ذات المرء المنصبة على انانيته الضيقة الملتحفة بها ، والكيان الروحي من وراء ظواهر الكون » (١)

(١) حديث (سر الحضارة ومفتاح التاريخ) للدكتور فؤاد صروف ٠

. شريعة شاملة :

وهذا عالم آخر هو « ليون روش » يشيد بمآثر الاسلام وفضائله فيقول ـ وحيث أنقل كلماته بكل صدق وامانة :

«إن دين الاسلام دين انساني طبيعي اقتصادي أدبي ولم انكر شيئا من قوانيننا الوضعية إلا وجدته فيه بل أن الشريعة التى سماها ـ جون سيمون ـ الشريعة الطبيعية قد وجدتها كأنها أخذت منه ، وقد بحثت عن تأثيره في النفوس فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلمه الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف في عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب وقد وجدت فيه حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرا الاولى في قول القرآن : (إنما المؤمنون أخوة) وهذا دواء الاشتراكية ، والثانية فرض الزكاة على الاغنياء للفقراء بحيث لو امتنعوا عن دفعها طوعا اجبروا عليه وهذا دواء الفوضوية فهو دين المحامد والفضائل ولو وجد رجالا يعلمونه حق التعليم ويفسرونه تمام التفسير لكانت امته أرقى الأمم » (١)

في الواقع أن تلك التعبيرات السابقة المجردة العامة والمفرغة في تفسير توينبي واعتقاد روش تقودنا لمعرفة ان الايمان بالفرد الانسان وقيمته مستمدة من أصول دينية ، فلذلك يريان أن اي مستقبل حضارى يكون مهددا بالخطر ـ إن لم يكن هناك إنبعاث ديني يجدد ويعزز بالايمان والمتمثل في الشريعة الاسلامية ٠٠ شريعة السماء الخالدة ٠

فاذا كانت الفقرتين السابقتين من اعتقاد مفكرين غربيين ٠٠ فما بال أولئك المتحذلقين ـ طلاب المظاهر وأدعياء الانكار ؟ واذا سلمنا بأن حرية العقيدة والرأي مكفولة للجميع ، فما بالنا نجد ذلك الاندفاع العشوائي الذي يخلو من التركيز والتأمل والحصافة في حديث البعض ؟ ولا نعدو الحق اذا قلنا أن احاديث أولئك الأفراد لاتنطوى على شيء سوى تلك العصبية التى تقود الى الاستخفاف بل التجاهل لما للشريعة من أفضال على الحضارة والتاريخ ٠ قال تعالى « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » الحج ٤٦ ٠

(١) انظر كتاب العقائد الاسلامية ـ تأليف نديم الملاح ٠

ألا ترى تلك القلة المتحذلقة أن الميل في التعنت والاستخفاف بهذا الدين القويم ليس إلا راجعا لعدم الادراك والاستيعاب للمعانى السامية التى تركز عليها هذه الشريعة ؟ فلو تأملوا بموضوعية لوجدوا أن مناهج الاسلام السامية تسهم اسهاما حقيقيا في كل بناء أسري وتكوين اجتماعي واصول للمعاملات اليومية وتهذيب للعقول وصقل للنفوس من كل دنس وإطمئنان للجميع على كل الحقوق واستحكام للعهود والمواثيق وتوزيع عادل للميراث والثروة ودعوة صادقة للعلم والمعرفة ٠

وهل نجاف الحق اذا قلنا ، أن ميل اولئك المندفعين ربما كان راجعا الى الاحكام والطرائق الدينية التى تشكل في اي وقت جبهة منيعة ضد رغباتهم الفردية ، ونزواتهم الشخصية حيث يدفعهم جهلهم المطبق لتخطى الحدود والاخلال بآداب الشريعة وتعاليمها ، وفي كلا الحالين نجد أن ذلك تصوّر خاطىء وبعد عن المسئولية والالتزام من قبل أدعياء الانكار ٠٠ بل هو في الواقع انتهاك لما حرم الله واسفاف في الباطل وترد في المساوىء ٠ قال تعالى « ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » المؤمنون ٠

المسلم الحق :

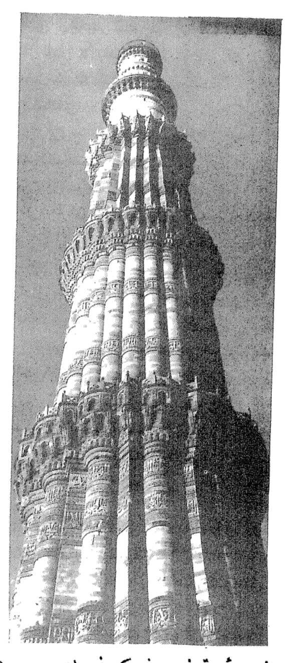
لذلك نرى أن المسلم الحق لايتكامل إيمانه إلا اذا كان هواه تبعا لما جاء به الاسلام ، شريعة وعقيدة ، فلا ايمان لمن كان يرزح تحت سلطان هواه وملذاته ونزاوته ! ومن أهم مقاصد الشريعة الاسلامية أن يكون المؤمن متحرراً من عبودية النفس وربق الشهوات التى تقود الى المفاسد ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » وما جاء به الرسول الكريم هو الحق والصدق من ربه ولا شيء سوى الحق ٠

واذا تأملنا بعمق في نفوس تلك الفئة الضالة فاننا نستشف نلك الخواء الروحي ، والظمأ الذي لا يجد له رياً ـ عند نلك تصدمنا تلك الظاهرة الحقيقية التى تنبع منذ البداية من روح يحتويها الانكار والصدود نتيجة للتمزق النفسي والتناقض الاجتماعي ٠٠ والذي نعتبره بمثابة جسر منهار يفصل الجسد عن الروح ٠ فالايمان بالله هو الجسر الذي يربط الروح بالجسد وعندما فقد نلك الجسر اضطربا سوياً وتفككت اواصراهما وبعد هذا يذهب كل على حدة دونما اتساق أو إلتئام !

وحتى نكون على بينة من أمرنا وبرؤى واضحة المعالم قبل السياق في هذا الحديث المقتصب عن الاسلام ، نقول بادىء ذي بدىء : أن الاسلام الذي أخذ تعاليمه الاساسية من منبعين هما القرآن الكريم ـ الكتاب المنزل من عند الله تبارك وتعالى والسنة النبوية المطهرة ينقسم الى شعبتين ، وهاتان الشعبتان هما العقيدة والشريعة ، ولهذا كان من الأفضل ادارك الفارق الجوهري بينهما ٠٠ حيث نرى أن العقيدة هي الجانب النظري الذي يتطلب الايمان المطلق بالقلب مع العلم بمادل عليه القرآن في جميع آياته للعبادات ، ومادعى إليه الرسول الاعظم سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام ٠ أما الشريعة فتتكون من النظم والاحكام التى شرع الله أصولها كي توجه علاقة الانسان بربه وبأخيه المسلم وبأخيه الانسان ، وماتشمل من معاملات ثم علاقة المرء بالحياة والكون ٠٠ لهذا نرى أن العقيدة يقين والشريعة عمل يدل على الخير ٠

يقول فضيلة الشيخ محمود شلتوت رحمه الله في حديث شيّق ومفصل تحت عنوان (الاسلام عقيدة وشريعة):

« والعقيدة في الوضع الاسلامي هي الأصل الدي تبنى عليه الشريعة ، والشريعة أثر تستتبعه العقيدة ، ومن ثم فلا وجود للشريعة في الاسلام إلا بوجود العقيدة كما لا إزدهار للشريعة إلا في ظل العقيدة ، نلك أن الشريعة بدون العقيدة علو ليس له أساس ، فهي لاتستند الى تلك القوة المعنوية ، التى توحي باحترام الشريعة ، ومراعاة قوانينها ، والعمل بموجبها دون حاجة الى معونة.. أي ، قوة من خارج النفس » ٠



في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها إسمه. ﴿النور ٣٦﴾

الوحدة الدينية :

لهذا نجد أن الاسلام يسلك نلك المنهج الديني القويم ، ويحوى تلك الشريعة الغراء التى لا غنى للحياة عنها أبداً في أي عصر من العصور · ومن هذا نرى أولا انه يهدى الى توحيد الله والوحدة الدينية ، ثم الايمان بالدليل والنهي عن التقليد ، وحرية العقيدة الدينية ، حرية المرء المقيدة برعاية حقوق غيره ، التدرج في تحريم الرقيق وجعل العبودية لله وحده ، الوفاء بالعهد ، العدل والاحسان وصلة الأرحام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والبغى ، الاصلاح بين البشر والابتعاد عن الفساد ،التعاون والاتحاد والتآلف ، الشجاعة واعداد القوة ، والتعليم ونشر العلم ، اتقان العمل والصبر على المكاره والتيسير وتحميل العامل تبعة أعماله ، التفرد في الجزاء والقصاص ، اللين والرحمة والرفق ، المساواة وانكار الفوارق الاجتماعية من حيث اللون والجنس والمركز وانما الافضلية بالتقوى ، الاقتصاد والسخاء عند الحاجة ، الزكاة وتطهير الأموال والدعوة الى البر والأمانة ، الصدق في القول والنهي عن الغش والكذب وسوء الظن والتجسس والنميمة والنفاق والسخرية بالآخرين ، العفة والتواضع والعزة والدعوة لهم ، اعطاء الروح والجسم حقهما من الطيبات والابتعاد عن الخبائث ، الشورى واجتماع الرأي والنهى عن التنافر والتناحر ، تحريم الربا والرشوة والخمور والقمار والمحافظة على سلامة الأبدان والاموال والمحافظة على كيان الاسرة وتماسكها واعداد جيل صالح والعدل بين الأبناء في الحقوق والمواريث ·

والواقع اننا لو تدبرنا هذا الكتاب السماوي الجليل ــ القرآن ــ وما تهدف إليه شريعة الاسلام الحقة لأدركنا دون جهد وعناء احكاماً وحكماً ترشد الى استغلال الثروات الاقتصادية التى ليس للانسان بد منها ثم نجد آيات كثيرة تتحدث عن تسخير الكون والاستفادة من الطاقات المختلفة وأخرى تبيح المعاهدات والتعاون وغيرها ترشد الى مكارم الاخلاق وطهارة

الجسم ونقاء السريرة ، ثم أصول للمعاملات وحرية الانسان واختياره ، والجزاء والعقاب والتملك ، وتشمل على جميع الأحوال الشخصية وتدعو الى علم النفس والاجتماع والطب والفلك والأدب والسياسة ٠٠ ذلك كله إضافة الى البلاغة اللامتناهية والاسلوب الرصين ، والعطاء اللغوي الثر. ولا مجال للشك أن الحديث عن الاسلام يحتاج الى العديد من المؤلفات للبحث في هذا المجال ٠٠٠

بقي لنا أن ندرك أن اعداء الاسلام الذين أوحوا بهذا التعصب العقائدي ليس بامكانهم التخلي عن المساندة لهذه الافكار والمحاولة حينما تسنح لهم الفرص لطمس مآثر الدين الاسلامي الحنيف والتشويه فيه ، مستخدمين أذكى الوسائل واقذر الاعمال وطائل الاموال لتدعيم أهدافهم وطرقهم الملتوية !

فلا غرابة أن نجد من تلاميذ اعدائنا من ينقل إلينا هذه المبادىء والاساليب ، حين يتوهمون .. بل نقول هم يقصدون ــ من أن شرائع الاسلام واحكامه تشكل خطراً على الحياة الاجتماعية ، وتقف عائقا دون تحقيق المستوى المطلوب للتقدم العلمي والثقافي !

فاذا كان هناك ما يدفعنا للتحدث عن مواطن الخطورة ، فنقول أن الخطر هو كائن وصحيح ولكن بالنسبة لهم ، لأنها تهدد مخططاتهم العدوانية التى تشل قطعاً العمل والحركة ؛ أو ما تدحض تعاليمهم اللاهوتية سيان ذلك على صيغة « قوانين » لاتعرف الرحمة وتختفي تحت شعار ظل الله في الارض !! مضافة إليها البروتوكولات التى يتغنى بها الصهاينة ولكن بدون مزامير داود !!

والتفاتة قصيرة لاتكلفنا غير هنيهة من الوقت للتطلع على ما يدعو إليه البروتوكولان الرابع والسابع عشر التى يحوى التلمود عشرات منها ، يتبين لنا مدى تلك الخطورة حسبما تنصان عليه : (*)

« لقد أظهرنا اهتماماً كبيراً منذ أمد طويل بموضوع الحطّ من قيمة رجال الدين من الاغيار » ٠

(*) اليهودى العالمى : تعريب خيرى حماد ٠

« ولهذا السبب وحده ، علينا ان نهدم الايمان ، وان نمحو من عقول الاغيار مبادىء الله والروح من أسسها وأن نستعيض عن هذه المفاهيم بالمعادلات الرياضية والرغبات المادية » والخ ٠٠

على أن المفهوم الذي لايختلف فيه اثنان ، هو أن هذه الشرائع والعقائد الدينية ليست من عند البشر ٠٠ بل من عند الله عز وجل ؛ وهي ليست بأي حال من الاحوال مسئولة عما يخطئه الافراد حين يشطون عن احكام الشريعة الصحيحة ، ويفسرونها على غير هدى ، فتكون أعمالهم الخاطئة ستاراً يخفي عيوبهم ويواري مقاصدهم ٠ بقى أن ندرك عميقاً سر تلك الحيرة التى تمتلك نفوس القلة المتحذلقة حيث يعتبرون أن قصور الأفراد والتقاعس عن اداء الواجب والحقوق هو قصور في الشريعة ! كيف نعتبر الشريعة يوماً مجافية للحق وهي التى تحث على العدل والتعاطف واحترام الحقوق والواجبات ؟

لقد جاء الاسلام الذى لا يأتيه الباطل بين يديه تحسيناً للمعاملات الانسانية ، وتدعيماً لمكارم الاخلاق وترسيخاً لوشائج وعلاقات البشر النبيلة ، التى تنمي فيهم الشعور بحق المجموع . وهذا مالا نجده قطعاً متوفراً في الروح الفردية ٠

مما تقدم نجد أن استناد الناس على مناهضة أية عقيدة دينية أو شريعة سماوية في الواقع هو جهلهم بما تنص عليه هذه الشريعة ، ثم بعدهم عن منطق العدل والخير والحقيقة ٠٠ الحقيقة التـى ترتقـى على جميع الادعاءات ٠ انهم اذن لا يقصدون من وراء تلك الدعوة إلا إيذاء الضمائر والقلوب ، وهل هناك ثمة فروق بين التهجم والسطو على حياة الناس وحقوقهم ، وبين الاعتداء على عقائدهم ومقدساتهم ؟!

وبعد فان الاسلام لم يكن مجرد دين أو عقيدة فحسب ، بل كان تاريخاً وحضارة ودستور حياة ٠٠ يضيىء بنوره العتمة وينقلهم الى عالم الانطلاق والمكارم بعيداً عن مسارب الخوف والزلل ووعورة الجهالة والضلالة ٠

المفاهيم لدى بعض الدول !

الدول الصغرى والنامية اذا تباينت مواقفها أو تقاربت آراؤها اعتبرت مساعيها جريمة وفشلا وتعطيلا للجهود ، أو ربما خطوات مرتجلة كما تزعم الدول الكبرى ٠٠ أما الدول الكبرى اذا شذت عن مواقفها وتخلفت عن مسئولياتها التاريخية والانسانية عن طريق التواطؤ والتآمر فيعتبر عملها نوعا من الرغبة فى السلام وصداً للنزاع حسب مفاهيمها ٠٠٠ !

ان للمفاهيم الاخلاقية والمدلولات الاجتماعية عند أنصار العدالة وأحباء السلام والامن الامريكى مثلا تعريفا يختلف عن الدول الاخرى ، وعلى ضوء هذا التعريف تتخذ المواقف وتبنّ القرارات والاتجاهات ٠٠

فأمريكا ، كبرى دول الرخاء بجميع أنواعه فى الغرب ، تعيش فى عالم المتناقضات .. حيث تعمل وتساهم فى شتى الميادين الاقتصادية والثقافية وحتى العسكرية بضمير ملقى على الرف ٠٠ وبالرغم من أنها تملك أقوى أسلحة الدمار والفتك ، تحارب وأعصابها المنهارة تعجز عن ايقاف ذلك المد التحررى فى العالم الثالث أو غيره من دول الشرق العربى ٠٠ بل تحاول من جانبها بالتخطيط والتركيز عن طريق « دبلوماسيتها الهادئة أو الساخنة » وعبثا ما تحاوله للبت فى قضاياها الوطنية أو العالمية ، لان شعلة تفكيرها تخبو ويتبدد نورها كلما احتدمت عواصف التحدى والصمود وتوالت نداءات الرفض فما بالك حين هى تجلس لتفاوض فى باريس ، وتعاهد فى فيينا ، وتتحدث عن الحلول السلمية فى موسكو ، حيث تشيح بوجهها الكالح عن مواجهة الحقيقة ؟ هل لان مساندتها ومصادقتها للشعوب ليست الا وليدة الحقد والكراهية واراقة الدماء ٠٠ ؟

حين نتتبع تلك المدلولات ، ونتقصى الاحداث عن كثب تظهر الرؤية جلية لتلك المفاهيم الامريكية المستندة على « أعمدة الحكمة » التى تزيد فى عددها على السبعة ! غير أن تلك الاجراءات وتبريرها الاعمال العدائية هى فى الواقع دليل قاطع على تلك النوايا التى لا تفارقها سمة العنف والغرور ـ حتى لو أخفتها ـ ففى كل آونة يدرك العالم مكنون الادوار التى تمارسها أمريكا ٠٠ وتتمثل فى الضغوط والمساومات والتهديدات لصالح نفوذها الامبريالى من ناحية ، ومساندة الكيان الصهيونى من ناحية أخرى ٠٠

أمريكا التى تتمتع بهذه النوايا « الطيبة » تسمى طبعا حسب تعابيرها الادبية ـ الاعتداء على سيادة الاوطان وانتهاك حرمة أراضيها (دفاعا عن السلام) ، والسيطرة على ثروات وخيرات الدول الواقعة ضمن نفوذها والتى تسعى للتحرر من هذا النفوذ عن طريق المد الثورى ، تسمى امريكا هذه السيطرة البغيضة (حماية الحقوق والممتلكات والمواطن الامريكى فى الدول الاخرى) ، كما ان اراقة الدماء واهدار الحريات وتمزيق الصفوف واشاعة الفوضى عن طريق تزويد بعض الدول فى المنطقة بأسلحة الدمار وتقويض نظم الحكم حسب قولها (جهود مبذولة) فماذا تسمى شراء الاصوات وتزييف الانتخابات ؟ انها تطلق عليه الديمقراطية وحرية الفرد .. !

ان هذه السياسة الرشيدة التى تستمد جذورها من منابت الارهاب والصلف تضللها مجموعة من الشعارات سيان كان ذلك على صعيدها القومى أو العالمى . وماذا عن سعيها لضرب مكاسب الشعوب فى الدول الاخرى ، أهو دليل على هذا التعاون الذى تنادى به دائما ٠٠ ؟ فلا عجب بعد ذلك أن نرى أية « بادرة جميلة » من طرفها للحل السلمى ، لانها فى الواقع ليست هى الاولى من نوعها ضمن مراحل تاريخها العريق فى التضليل والخداع! وماذا يهمها اذا كانت تلك الاساليب تحفل بالعدل أو تنافى الحرية ، وأبسط المبادىء الانسانية لسبب بسيط .. لان تلك القرارات صادرة من « بيتها الابيض » ٠

أمريكا ٠٠ هذا الجزء من العالم والذى يطلق على نفسه « عالما حرا » حيث تسوده الحضارة الصناعية لم يبصر قط نبالة من الحضارة الاخلاقية ٠٠ انها مثلا تكره القتل ولا تطيقه ، فى الوقت الذى هى تحب المهارة المتجلية فى « عملية القتل » . فنظرة عميقة الى هذا السلام الذى تنشده نرى من خلاله أبرز المظالم فى تاريخ الانسانية ٠ ان تفسير حرب التجويع واحتكار السلاح واضعاف العزيمة لدى دول الشرق العربى والنيل من استقلالها وكرامتها ثم تدفق الاسلحة والخبرات الفنية والعسكرية وارسال المتطوعين من الطيارين والجنود الى اسرائيل ما هو من ناحيتها الا تعديل فى (ميزان القوى) انه فى الواقع تعديل فى قوى الانفاق التحتية والصغيرة والتى تمشى فى فلكها وتنفّذ أغراضها ومطامعها الامبريالية !

وما أكثر ما نسمع ونقرأ عن مشاريع السلام والامن الامريكى والذى قائم فعلا على الهلاك الجماعى وأشلاء الجثث التى تبعثرها هنا وهناك من جراء القنابل المحرقة والغازات الخانقة وأشعة الليزر وأسراب الفانتوم .. فقد كانت تسمية أمريكا ذلك نوعا من « فتنمة الحرب » أو انه دعم للاستقرار والرخاء فى جنوب شرق آسيا وحيث تعمله الآن فى الدول العربية مع حربها بجانب اسرائيل . ولا نعرف ماذا تفسره أمريكا هل هذا نوع من أنواع القدرة الفائقة فى القتال والموت المريح وربما «لأن البشر عندها يموتون كالحيوانات لا كالبشر » حسب تعبير «همنجواى » ! (١)

لكن ما هى تلك الاغتيالات والخطف وتقويض النظم التقدمية فى العالم ـ أهو لصد عدوان جديد وتهديد خارجى .. أم ياترى سعى جاد ودعوة صادقة لضم الصفوف وتوحيد الشمل ؟ بقى لنا أن ندرك تفسيرا طالما شغلنا

---

(١) وداعا أيها السلاح : تأليف آرنست همنجواى

به ، الا وهو ماذا تعنى تلك المعونات والاموال المتدفقة وبناء القواعد والحشود والاساطيل البحرية .. أهى متعلقة بعملية تطوير دول المنطقة أم تطويقها ؟ وكعادتها فى كل وقت تسمى تزويد اسرائيل بالعتاد والسلاح والخبراء والفنيين والمال ، وحتى الطيارين عملية توازن القوة وتعويضا عن الخسائر احلالا للسلام وهكذا . ان هذا العمل فى الواقع هو اعتداء صارخ وتحدي سافر على الكرامة العربية والارض العربية والانسان العربى واستهانة بكل القيم الانسانية والحضارية والاخلاقية النبيلة ونحن نراه فى كلا الحالين سوء وبلاء يجب أن تتحمل عواقبه الوخيمة .



صورة الحرب المصيرية

فى هذه الأيام الجليلة العظيمة تفتح أمتنا الكريمة صفحة جديدة من تاريخها المجيد بعد أن طوت يد القدر والى الأبد صفحات بيضاء مشرقة خطت أسطرها بحروف من نور ونار ، نور يضىء جوانحنا ويزيدنا ايمانا مع ايماننا ، توثق بطاقات الحزم خطانا وتشد برباط اليقين عزيمتنا وتذكي بوهج الحق عقولنا ــ ونار تلهب أفئدة أعدائنا وتصليهم الى السعير حيث لا رجعة ولا بقاء .

ايام تمر من عمر الزمن المديد ونحن نتلمس من ثناياها نضال أمتنا البطولى وكفاحها المجيد ضد قوى التسلط والاستبداد واقتلاع جذور البغى وهدم قلاع العنصرية وأعداء التحرر لما تشهد هذه المواقع من وطننا العربى الكبير لأعنف المعارك فيتوجها بالنصر المؤزر · إن تاريخنا إذن مع النضال شاسع ودروبنا مع الكفاح طويلة مستهلة بغزو المغول قطاع الطرق ، فعهد العثمانيين الحالك المتخلف (الظالم) ، والصليبين الغزاة وتليها عهود التحكم الغربي سالبى خيرات الشعوب ثم تنتهى بالصهاينة ،واعوانهم سفاكى الدماء وتجار الحروب · والواقع أن هذه ليست نهاية المعركة طالما لنا أهداف نؤمن بواقعها ومبادىء لانساوم عليها وأمان نرنوا إليها ونرجو من الله أن يحيلها من عالم الخيال الى دنيا الحقيقة ، ومن أجل خلق حياة حرة كريمة ·

إن التصميم والصمود لم يكن جديدا أو مستحدثا بالنسبة لنا بل لم تكن تلك الخطوات نهاية المعركة وخاتمة الصراع وانما بدايتها · وما نراه اليوم من مجازر وحشية تقام على الارض العربية وفى فلسطيننا الحبيبة وماترتكب ضد ابنائه الآمنين ، وما يقوم به شباب الضفتين من تضحية وبذل وفداء بالارواح والاموال والأولاد إلا دفعا للضر ودفاعا عن المبادىء الانسانية المقدسة والمثل العليا التى تنادى بها شريعة الله رغبة في التخلص من هذا الاخطبوط الصهيونى الجاثم على أرضه مهد صباه ومنى أيامه ومهبط الرسالات السماوية السمحاء ، فلن يتأخروا غمضة عين عن موطنهم

وحقوقهم المشروعة مهما بلغت التضحيات ٠

أما أعداء التحرر والتقدم والنهضة الذين جعلوا من اسرائيل خنجرا طعنوا به صدر العروبة والاسلام وشيدوا منها قاعدة لصرح الخيانة والعدوان حتى يحيكوا في الظلام بأصابعهم الاثيمة خيوط الغدر والمؤامرات الدنيئة ، لن يريدوا أن يدركوا جيدا أن لهذا الشعب الفلسطينى حقوقا مشروعة ومبادىء كريمة وحياة حرة وقيما أخلاقية يجب التمتع بها ٠ أن قلوبهم الغلفة وآذانهم الوقرة تأبى إلا أن يستمروا فى طغيانهم فتارة يمدون الصهاينة بالذخيرة والسلاح،وطورا بالأموال والعتاد والدعاية الأعلامية الرخيصة واضعين في اعتبارهم مايلى :

اولا : ضمان بقائهم وسلامة وجودهم في المنطقة العربية لما يتصل به من ارتباط وثيق بسلامة اسرائيل ، ودعمهم تلك القاعدة الصهيونية اقتصاديا وعسكريا وماديا وفنيا ـ ففي هذا إحياء لوجودهم وبعث لكيانهم الذى يتمزق يوما إثر يوم وتتبدد دعائم أحلامهم في السيطرة كلما بزغت شمس الثورة والتحرر والازدهار الاقتصادى والتقدم الثقافى والفنى لدى غيرها من الدول النامية !

ثانيا : ضمان وأمن لمصالحهم الاقتصادية والتى تتمثل في الثروات المعدنية والبترولية وكذلك الزراعية حيث الأموال الطائلة التى تكتظ بها جيوبهم في الوقت الذي يحرم منها أبناء الوطن أنفسهم من خيرات وطنهم .

ثالثا : في الوقت الذي يحمى الغرب مصالح وحرية إسرائيل تفي الدويلة الصهيونية بما يلزمه من إمكانيات وتفتح الأبواب على مصراعيها لتنفيذ مخططاته الاجرامية ورغباته لايقاف الزحف العربى الهائل والذى يزداد قوة وصلابة كل يوم ، لأن هذا الزحف الجديد يشكل خطرا يهدده عن تنفيذ تلك المخططات العدوانية :

رابعا : التصدى على حد قوله للخطر السوفييتي أو أية قوى أخرى في الشرق ثم خوفه من التسرب الى تلك البقاع ومجابهتها وصدها في شتى الميادين والمجالات الثقافية والتجارية والفنية ، أو منع أي اتجاه نحو خط المسيرة العربية المصرية ومن ذلك أيضا خوفها من تغلغل التجارة في أسواق المنطقة بسلع الشرق ومنتجاته مراعيا في ذلك فقد أرباحه التى تقدر بالملايين من الدولارات ٠

خامسا : إشغال العرب بالحرب مع اسرائيل يجعل دول المنطقة من العسير عليها التدبر والتفكر في شؤونها الخاصة والعامة المتجهة مثلا الى إعداد الجيش القوي لحماية مصالحهم القومية من خطر الغرب أو بالنظر الى تطوير إقتصادياتهم ورفع مستواهم الثقافى ونهضتهم الصناعية. وأما بالنسبة لأسرائيل فالجميع يدركون ماتحصل عليه هذه الدويلة من ضخامة في السلاح والمؤن والفنيين والمواد الأخرى المختلفة بلا قيود ولاضمان ولا أثمان في أكثر الأحيان ٠ والنتيجة هي:أما أن توافق الدول العربية على الشروط وبأثمان مرتفعة وإلا عدم موافقتها وهذا طبعا يعنى وضع الحظر ومنع تصدير السلاح ٠

اختلاف الاهداف :

مما تقدم يجد الغرب فرصة متاحة للقضاء على تلك النظم الوطنية التقدمية التى ترفض سيطرته وتأبى تعسفه واستنزاف خيراتها فوق أرضها مع عدم رضوخها ووضعها ضمن مناطق نفوذه الامبرايالى ٠ أما إسرائيل ومن ورائها أسيادها أو بالأحرى عبيدها لا يجدون أدنى غضاضة لمجابهة أى نوع أو منهج من التحرر والاستقلال والأمن في المنطقة وجل أهدافهم هو القضاء على جميع المبادىء والمقدسات وأما هدف أمتنا العربية هو إحباطها والتصدى لها !

إن هذه الارواح التى تبذل والدماء التى تهرق لهي اكبر دليل على تلك الروح المعنوية التى يمتاز بهاابناء الشعب العربي الأبى. فتحية لك أيها المناضل وأنت تسكب فيض دمك الزكي على صفح ثرى أرضك العربية لتطفىء به لهيب الطغيان ، تحية لك ايتها الأخت الأبية وانت تفتحين قلبك لرصاص العدو بدون إكتراث لتبعثى فى النفوس نسمات الحرية ، تحية لك أيها الأب الشيخ الجليل وأنت تدون مثلا رائعا للعزيمة الصادقة حين يقتل ابناؤك وينسف دارك وحين تشهر سلاح الايمان والصبر في وجه النوائب ، وتحية لك أيتها الأم الرؤوم وانت تذرفين دمعة الوفاء على شهداء الوطنية ٠ أما انتم أيها الصهاينة واعوانكم فاللعنة عليكم والموت والعار لكم يا أعداء الانسانية والعدل ، ياشرانمة الأرض وياسارقى العروض والاوطان والحريات فاعلمو أن ثقتنا بانتصار الحق كثقتنا بطلوع الفجر عقب ظلمة الليل ٠



القسم الثاني :

صور اجتماعية :

١ ـ ذلك المد الطاغي.
٢ ـ الشباب بين المشكلة والمأساة ٠
٣ ـ كل طرفة عين ٠
٤ ـ الأصالة لا تعني العزلة !
٥ ـ نحتاج الى روح انسانية ٠
٦ ـ اين مكانها ؟
٧ ـ خطر يهدد الشباب ٠
٨ ـ أيها الأب كفاك نوماً ٠٠

ذلك المد الطاغي

عجبت لمجتمع لا يقيم وزنا لجهود المرأة ، ولا للدور الذى تقوم به منذ ان دبت الحياة فى أوصال المعمورة الى ايامنا الحاضرة ! عجبت لعقول تلبدت بغيوم التزمت والجمود ٠٠ فكادت ان توازيها معنى وقيمة بقطعة أثاث تقبع فى احدى زوايا المنزل ! عجبت لنفوس هيمنت عليها أشباح اللامبالاة والقسوة فأنكرت ان وجودها يشكل الشطر الثانى من المجتمع ٠٠

ان واقعنا اليوم بمفهومه الانسانى لم يعد يحتمل جزر القرون الطويلة ٠٠ الذى اختطف فى انحساره كل ما تملك من الحقوق المشروعة ، وطغى مدها على ارادتها وكرامتها حيث كابدت أطواق الذل والخضوع تحت ظل تلك الرموز التاريخية ٠

لم يعد يحتمل واقعنا الآن اكثر مما عاناه فى الماضى ، ولان ظروفه الحالية التى نعيشها هى الاخرى لا تحتمل لان نترك المرأة فى عزلتها الفردية حين سلبت حريتها ، بل ومعظم حقوقها العادلة التى لم يشأ ان ينص عليها « رائد المدينة العادلة » ولا ذلك التسخير والقصور العقلى الذى وهبتها اياه قياصرة الرومان ، ولا ربقة العبودية التى أوصت بها ديانة « الشنتو » ٠

ولقد ظلت أختنا متعثرة الخطا ــ تصحب خطوات عيشتها الموصومة باللعنة والنجاسة واثارة الشهوات ٠٠ التى ابتدعها « شراع المانوية » قبيل القرن السابع الميلادى ! ولم تشأ القوانين المدنية الجائرة التى سنتها السلطات الفرنسية قبل بزوغ فجر الثورة الفرنسية ان تعترف بوجودها ٠٠ تلك القوانين التى وضعت المرأة موضع السفهاء والقاصرين ، حين منعتها عن التصرف فى ريعها الشخصى الا باذن زوجها أو والدها على الاقل !!

كم يصهرنا العذاب ، ويطغى علينا الالم حين نجد أختنا ورفيقة دربنا الطويل الشائك ، وهى تساق بالماضى عمياء فى عين الشمس ٠٠ ونراها هذه الايام تدفع وهى مبصرة تحتضنها أقبية الظلمة !

اذ ان أفكار وتعاليم الازمنة الموغلة فى القدم لا تزال توثقها بقيودها ٠٠ بل أن « رواسبها » تحتل الجزء الاكبر من عقولنا ، ورغم هذا لا ندرك الواقع المؤلم لجلاء الزيف والتشكيك في قدرات المرأة وامكاناتها واللذان رافقا حياتنا فى رحلة العمر الطويلة المضنية ٠ على أن الاشياء تبقى كما كانت حين تخلع الافكار عنها أردية الصدق والموضوعية حين نجرد المرأة من حقوقها ، ونوصفها بأنها قاصرة ، ماكرة ، ناقصة عقلَ وخيالية « تجود للغير اكثر منه للزوج » حينما تريد ـ الى غير ذلك ٠٠٠

بأية عقلية نفكر اذن حين نسبغ عليها بتلك النعوت التى تنتقص مَن كرامتها ، وتدحض مكانتها وأفضالها على الحضارة والانسانية ؟

ان واقعنا اليوم يغاير واقع الامس ، فلابد اذن هناك اكثر من وسيلة لازاحة السلبية التى اتصفت بها حياتنا عبر قرون مضت ٠

اننا مطالبون بأن نكون اكثر ايجابية ، واكثر جدّية وننظر فى ظروف الحياة وحتميتها التاريخية ٠٠ نظرة فيها تقييم شامل لكل ظرف من ظروفنا الحاضرة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية بالنسبة لكل ما يتعلق بقضايا المرأة ٠

وهذا لا يعنى اننا تجاوزنا تلك التقاليد والمبادىء التى يؤمن بها المجتمع ، أو اننا تعدينا حدوده ٠٠ ان علينا ان نراعى ما من شأنه فى أى وقت مصلحة الافراد وتعبئة جهودهم ، ومساهمتهم الفعلية فى رقى وتطوير الوطن ثم الحفاظ على اهدافه فى حاضره ومستقبله ٠

لقد مضى بلا رجعة ، ذاك العهد الذى يعتبر فيه الرجل النساء « قطيعا من الاناث » يجب التفاضل بينها للانجاب وتحسن النسل ! فلم تعد هى من تلك النساء اللواتى كن يتزين ويتضمخن بالعطور والبخور ، ويأخذن ركنا فى

مقاصير الحريم والغانيات فى قصر « الباشا السلطان التركى » كى يلبين رغباته التى لا تنقطع لحظة ، ولا تنتهى عند حد ٠٠،

لم تعد هى تلك الكونتيسة الساذجة بأرديتها المزركشة التى ينحنى أمامها قائد الفرسان ، ويقبل يدها الكريمة التى تفوق نعومة الورد ـ في رفق واحترام لينفذ بعض الطلبات ٠٠ لم تعد من الحسناوات اللاتى يستجبن لتلك اللذاذات الضحلة المنال فى مخادع « الف ليلة وليلة » ، وكما انها ليست هى «فينوس » المتربعة أبدا على عرش الجمال والتى اختلفت عن جميع البشر حين ولدوا !

وانما كانت المرأة عبر التاريخ تجسيدا حيا للقوى الحية والعاملة فى اعماق الحياة والشعوب ، فلم تكن فى وقت من الاوقات أقل من الرجل شقاءً وكفوءاً وايماناً بقضاياها القومية والوطنية والنضالية والفكرية ٠



الشباب بين المشكلة والمأساة

الشباب هو الامل ٠٠ هو اليد القوية التى ستحمل الراية لتواصل المسيرة ٠٠ لتندفع بحركة التقدم الى الامام ٠٠ ودائما الى الامام جيلا بعد جيل ٠٠ فاذا كانت سواعد الشباب ضعيفة ٠٠ فاذا كانت عقول الشباب فارغة ٠٠ فاذا كانت عواطف الشباب ممزقة بين التقاعس واللامبالاة فهنا تكون المشكلة بل المأساة ٠

قلما تخلو حياة الافراد من الصعاب أو تنأى عن المشاكل ٠٠ وحين التطرق فى الحديث لاية مشكلة اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية وغيرها ، فاننا ملزمون ببحث الجوانب وتحليل الجزئيات ثم ادراك العلل ٠٠ ومن أعتى المشاكل التى تعوق مسيرة النهضة وركب التصنيع فى أى بلد هو تخلف شبابها وتقاعسهم عن حمل العبء والمسئولية ثم تهاونهم فى رعاية الحقوق وأداء الواجب نحو الوطن والامة ٠

هناك الكثير من المشاكل التى تصادف مسيرة الافراد وتعترض حياتهم حيث تبحث عن الحل فلا تجده فى المجتمع ، والشباب هو أحد قطاعات المجتمع وحياته هى جزء من حياة المجتمع ٠٠ انها حياة الشباب فى كل بلد ٠٠ الشباب الحائر اليائس القلق الذى نراه من حولنا ٠٠ الشباب الذى يعيش دون ايمان ، لانه لم يتعلم كيف يؤمن بعد ، وبم يؤمن ؟! وكذلك مجتمعه الذى لم يفكر بعد فى هذه الامور ، لانه مجتمع مشغول ، ومشغول بأن يكسب ويكسب ، لا بأن يفيد ويستفيد !

وحين نتعرض فى حديثنا عن الشباب فى بلد ما فاننا ملزمون بأن نتلمس جوانب حياته ، ما هى أمانيه وتطلعاته ، بل ما هى بالأحرى مشاكله لست أعنى فى حديثى بالشاب الذى أدمت كفيه المجاهيد وهو يضع لبنات جديدة

ومتينة كل شارقة شمس لتشييد المجتمع ولمحاولة التكامل بكل أبعاده فى هذا العالم الزاخر بالمتناقضات ٠ اننى أعنى أولئك الذين تبهرهم اضواء الزيف ٠٠ وتستهويهم القشور وتمزيق الجهود واهدارها ٠٠ أولئك الذين لم يضيفوا جديدا على معالم الحياة الحديثة سوى ضياع الوقت وبث الصراع والتفسخ بجميع أشكاله ٠

علاج الانحراف :

ليس من شك ان التربية السليمة هى الحقنة الناجعة لعلاج انحرافات الشاب ونمو وتطوير أفكاره ومن ثم لتدعيم شخصيته لخلق مجتمع يسود بين أفراده النظام والتفاهم والعمل المثمر ٠ لكن هل المسئول الاول هو البيت أو بالاحرى البيئة البيتية ؟ واذا كان اعتقادنا راسخا لا تشوبه شائبة فى أن التربية السليمة فى أى وقت لها مكانتها وفاعليّتها تجاه تصرف الجيل الناشىء ٠٠ غير ان هناك عوامل أخرى مؤثرة ومحطمة فى نفس الوقت لهذه التربية ٠

قال البعض بأن الاثر عائد الى احتلال القوى الاجنبية لفترة من الزمن لبلد ما أو وجود بعض التيارات البغيضة المتسلطة فى تشكيل سلوك الافراد ٠٠ بعضهم وضع اللائمة على الشاب نفسه عندما انبرى يجرى وراء ألوان فارغة لا تمت للحياة بصلة ولا تقييم للآداب والاخلاق والعمل وزنا ٠

على أن البعض الاخر كان يرجّح انّ سوء التربية والابتعاد عن النهج السليم لدى الجيل أدى أولا وأخيرا الى تفكك نظام الاسرة وأن الاسرة لم تعد فى وسعها تقديم الدور الايجابى لتنشئة الجيل ورفع معنوياته ٠

غير ان ابتعاد الوالدين بالذات والتربويين وغيرهم من منظمات الشباب عن أولئك الابناء والبنات أو عدم اهتمامهم التام بتربيتهم هى فى الواقع فرصة سانحة لخروج الشاب عن نطاق التوجيه السليم ، أضف الى هذا

وذاك ان الرعاية المفرطة قد عودتهم أحيانا على اتباع الميول التى تعج بالانحراف عن طريق الاحتكاك « بأنماط شتى من الشخصيات » ٠

ولنأخذ مثلاً من حياتنا اليومية ٠٠ حين يعتقد البعض منا دون وعي وتعمق للمبادىء ٠٠ ان الحرية الشخصية وغيرها من الامور أساس لاسقاط صلاحية الوالدين والتربويين من الوجود ! وهل يترك الفتى مثلا على سجيته كما يروق له ؟ وحتى لو سلمنا بهذا المنطق الاعوج فهل يعنى إننا أصبنا واتخذنا الواقع طريقا ؟ اطلاقا ان الواقع شيء يرتفع فوق كل هذا ٠

ان من اللجاجة الخاوية أن نزعم بأن تفكك الاسرة وتنافر أعضائها من نهج الحرية الشخصية ٠٠ فان أصبح الامر كذلك حسب تصوّر أولئك ٠٠ فلربما استغل الفرد منهم حينا تلك الحرية على أوسع نطاقها دون وعي ، ودون اعتبار لحريات الاخرين. ومهما يكن من أمر فان الاهمال وعدم النظام وتفاوت المراقبة والتراخى مع الحنان المفرط من قبل الوالدين نحو الفتيات ــ أمهات المستقبل والفتيان رجال الغد ــ تظهر غير محمــودة العواقب فى المراحل الاخيرة من حياة الشباب ٠٠ اذ يدفعهم هذا التهاون الى خلق شخصية ضعيفة وفاسدة أوهن من حرير العناكب !

المواطن النافع :

يقول الفيلسوف راسل :

« غير اننا فى الحياة اليومية العملية ، نرى التربية تنتج على اعتبار الناشىء فردا مختلفاً جدا عن تلك التى تنتج عن اعتباره مواطن المستقبل ، فتثقيف العقل عند الفرد ليس ــ كما يبدو من ظاهر الامر هو نفسه التثقيف الذى ينتج مواطنا نافعا » ٠

فاذا كنا فى أول الحديث نحبذ ونرحب بوجود رعاية للشباب تصونه وتعده للمستقبل ، فلتكن حازمة ومعقولة والتى فحواها الثقة بالنفس والعمل

والتفاهم ٠٠ الذى يسمح للشابة أو الشاب باتخاذ ما يجدانه ملائما من القرارات والامور التى تخلق منهما يوما انسانية قوية ومتسامحة ، ذات كيان ومعنى تؤدى دورها النافع تجاه الوطن والامة وقضاياها فى الحاضر والمستقبل ٠ ومن منا لا يدرك تلك الرعاية المدعمة بقواعد البناء والصقل لمواهب الشباب ثم الاعتماد على النفس والتفاهم لتذليل شتى العقبات ولا يعنى هذا مطلقا اجبار الشاب على الطاعة العمياء فى البيت ، ولكن تعويدهم على الشجاعة الادبية والشعور بالمسئولية لتقدير الاوضاع والاحداث بفهم وتقييم وتأمل ٠ ومن المرجّح لدى السلوكيين والنفسانيين أن الفرد الناشىء اذا ما افتقد فرصة التعبير عن الرأى فى مستهل حياته اختل لديه مقياس التفاهم والنظام والانسجام مع الاخرين تحول فأصبح سقيم الطباع سيء الخلق يضيق ذرعا بكل ما يجده من قيم واداب ومبادىء ينشدها المجتمع ويؤمن بضرورة وجودها عن يقين واقتناع ٠

هذه فى الواقع بعض المعالم المتسقة بين النشء من جهة ، والوالدين والتربويين من جهة أخرى كما تظهر فى الصورة ٠٠ الا أن المسئولية رغم اعبائها يجب ان يتحمل البيت او بالاحرى الاسرة القسط الاوفر منها ٠٠ وحين تفشل الجهود ويتعسر الحل لتوجيه الفرد المواطن الوجه السليمة ٠٠ فلابد من الاحالة على ذوى الاختصاص ٠

ولا نغالى فى الامر حين ندعو الى أن الناشىء بحاجة الى صون أدابه وتنسيق شئونه وتهذيب نفسيته ٠٠ ولا نيأس من التوصل الى الحلول الملائمة ٠

وأما ما يتصوره البعض بأن ذلك مساس بالكرامة فهـذا يجانب الحقيقة ! وهل من الكرامة التغاضى عن كل ما يوصل الى المداخل الحقيقية التى تفضح النفوس المجارية للزيف ، والاذهان التى يستخفها النزق من حين الى آخر ٠٠؟

ان الكرامة المنشودة هى أن تسلك تلك النفوس نواحى القوة والسماحة

والنفع الجماعى ٠٠ لا أن تنحدر الى هوة الاخطاء فتضام للمساوىء من كل صوب بلا رحمة ، فعندها لا ترى ولا تنعم بفجر الحقيقة ولا تعى مآثر المنفعة الجماعية

ان أولئك العاملين الذين سبقونا وملأوا جوانح الحياة بشحنة النشاط ، وكشفوا آماداً بعيدة حين أضاعوا معمّيات كثيرة بمواهبهم وجدهم وأفكارهم بالامس ٠٠ وكانوا على ثقة أكيدة من النجاح والرقي لانهم آمنوا بالمثل وقدروا قيمة الزمن ،وتحروا الصدق والتضحية فأفادوا أنفسهم والانسانية ٠٠ فى حين اختار بعضنا الهين الضحل من الاعمال فتاهوا فى دروب الضياع واليأس ٠

قد تكون السبل أمامنا طويلة ومضنية تكتنفها الوعورة والتعرج ٠٠ والحياة رغم متاعبها هى مزيج من اللوم والعطاء والاسف والغبطة ، ومن يدرى لعل امكانيتنا متوفرة ، فكيف يليق بنا أن نقلل من شأن النخبة الممتازة من الشباب الطموح ؟ بل لا يجوز الاغفال والتشكيك فى الوقت ذاته فى جهود الشباب الخيّرة وتطلعاتهم وعطائهم الكبير ، كما اننا لا ننسى قطعا ما يعنيه خلق جيل يستطيع الاعتماد على قدراته والثقة بنفسه ويعى الكثير من قضاياه الوطنية والانسانية حين يملك الطاقة للعمل والجد فلا تشنفه الكلمة بينما يسعي هو لتحويرها بعيداً عن كل حيز تستعار فيه الكلمة بينما يمسى العمل حكرا !



كل طرفة عين !

ان لافتقار الهمة وفقدان الارادة ، وقلة الثقة بالنفس باعث قوى لاحجام « المتشائمين » عن خوض غمار تجارب كثيرة تمر بهم فى حياتهم اليومية — سيان كان ذلك عن ميل او حاجة ! هذه التجارب فى الغالب قد تكون مبعثا لشتى النوائب والنكسات حين يجد الفرد عدم الاستعداد لتقبل مثل تلك الظروف ٠٠ التى تجعل من الامور غاية فى الصعوبة ، وعلى اعتبار ان حياته هى مصادفة تعتمد على الحوادث ٠

وقد يعود شعور قلة الثقة بالنفس الى اسباب اهمها — (اولا) اقتناع النفوس بالنزر اليسير من المعرفة ، والموجود القليل من الخبرات والفنون ، وفى وقت هى اجهل فيه عما يتطلبه الحاضر ويفرضه المستقبل متخذة من الرأى (مد رجليك على قدر لحافك) ذريعة لها فى اى سبيل ! (ثانيا) ابتعاد الافراد عن تحديد اهدافهم ، ورسم خطوط امانيهم على ضوء من الواقعية ، فعدم اعطاء كل عمل حقه من الدراسة والتعمق الكافى للظروف المحيطة بالانسان مستمدا نظرته الفاحصة من بيئته الاجتماعيــة والثقافيــة والاقتصادية يجعل ارتباكا فى خططه نحو المستقبل !

نحن مثلا لا نجد في احايين كثيرة ثمة تفسير للظاهرة العجيبة لدى « البعض » والتى نلمسها فى اندفاعه العنيف لطرق ابواب الوظائف ، مع انقطاعه عن ممارسة الحرف الفنية او الصناعات — جريا وراء بريق المناصب الوهمية — ولان الاعتقاد بالراحة المزعومة والاستقرار الكاذب شىء من السعادة لديهم ، حتى وان كانت نفوسهم تملك حصيلة زهيدة من العلوم والمعارف !

وهل هناك غرابة فى ان يجمع الانسان بين العمل والعلم فى آن واحد ؟ وما هو وجه الغرابة ؟!

اليست النهاية من جراء ذلك التهافت غير المقبول سوى نتيجة عكسية ؟ الم يكن ايجاد جيل من انصاف المتعلمين هو دليل على عدم القدرة للقيام بدوره الايجابى لتحقيق غاياته ، ولعجزه كذلك عن اداء رسالة الوطن ومتطلباته الحاضرة والقادمة المتجددة حين تتعطل « الانوال » وتتوقف عن الحركة وسط ضجيج آلات الغزل والنسيج بعد ان تستبدل الاولى بالاخيرة ٠

ليس ذلك جوهر القضية فحسب ٠٠ وانما هناك الاكتفاء عن ذوى الخبرات الاجنبية ـ حين « يحل سلطان محل دى سوزا » الذى لا هم له ، ولاصحابه الا اتخام الجيوب ، والتفرد بالمنفعة على حساب تعاسة الوطن وشقاء ابنائه ـ اليس (حلاوة الثوب رقعته منه وفيه) ؟ وبالرغم من ايماننا بأن جحا اولى بلحم ثوره ٠

ان الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية ربما تتعطل اذا لم يتجاوز « البعض » تلك المطالب الفردية ، فيتمرد على الحدود الاقتصادية ثم يبدأ برسم مصورات جديدة لمستقبله وحاضره لتثبيت فاعليته أنىٰ ذهب وحيث أقام !

عندها فقط ينقرض من المجتمع المتشائمون وفلاسفة التخلف ، واذا كان الواقع ينفى الفلسفة فى معظم الاحيان فبالطاقة والعمل والاستقلال سوف تستبدل « الاسس » ولان المعتمدون على انفسهم هم على وعي وادراك ، ولانهم يملكون الحياة ويرون وجودهم ضروريا للحياة اكثر مما هى ضرورية لوجودهم ٠

لم يعد الان عصر « أمان ومعجزات » ولكنه عصر تفان ومنجزات ٠٠ عصر تخطيط ودراسة ضمن مفاهيم جديدة وجديرة بالبقاء ، ومن ثم تفهم لكل جديد ومتطور ينبثق ويحتضنه العلم الحديث ، وترعاه العقول النيّرة فيطرأ على هذا العالم كل يوم ٠٠ بل كل طرفة عين ٠

الأصالة لا تعنى العزلة

إن الدعوة الى أصالة المجتمع لا توازى فى مفهومها وجوهرها الانتماء الى العزلة والانكماش ، ولا ينفى بأى حال من الأحوال ذلك التواصل والتعامل بينها وبين المجتمعات الأخرى ! كذلك حين تتجلى قيمة الأصالة لدى أية أمة فلا يبدو أى مجال للتعصب والاستعلاء والعداء ٠٠ بل لا يبرز فى نفس الوقت أى معنى لتجاهل القوميات الأخرى . لهذا نرى أن العزلة فى مضمونها تعنى الجفاف ، وسوء الانتاج الذى قد يؤدى فى اغلب الأحيان الى عدم التكامل الاخلاقى والثقافى والاجتماعى لدى الأمم !

وقد تتعرض الأصالة ومعالم الشخصية فى أى مجتمع من المجتمعات فى العالم لكثير من الهزّات بدافع الظروف المحيطة به ، أو المتسلطة عليه ، حيث تلج التغييرات والتطورات منافذ حياته بارادته أو بغير ارادته ! فبالنظر الى بعض أوضاعنا الظاهرة والحاضرة ، ندرك تماماً ذلك التناقض الشاسع فيما نعيش فيه ـ وما ينبغى أن نعيش ٠ ونشوء هذا التناقض ربما كان بسبب تبنى بعض افراد المجتمع تلك الصفات المستهجنة ، والعادات الدخيلة المستوردة ٠٠ والتى تطرق ابواب الحياة الأسرية ، وتشغل كل شارقة شمس حيزا كبيراً من الحياة اليومية حيث تشمل مجالات التفكير والملبس ، وحتى الحديث !

وعلى سبيل المثال ، لو حركنا ذلك « الخيط الرفيع » صفع اسماعنا ذلك التناسي والجفاء للغتنا العربية من قبل البعض ٠٠ كأنهم يريدون قطع هذا الخيط حين يصفون أن الأمر الفلانى ـ يسمى كذا باللغة الأجنبية ، والشىء العلانى لا أدرى تسميته بالعربية ، أو لا يوجد معنى لكذا وكذا فى اللغة العربية ، وهكذا ٠٠٠ ومن يدرى فلعل وقت يأتى ـ وما أقساه علينا ـ وقت

ينسى فيه أولئك الأفراد لغتهم ـ أو بعضاً منها ! بل ليس ببعيد أن يشابهوا يوماً ذاك الغراب حين ذهب ليتعلم مشية الطاووس !

ومن المسلم به أن اللغة تشكل جزءاً من تلك الأصالة فى الأمة نفسها ، وهى سبيل للتفاهم بين أفرادها ، وتوثيق جاد لأواصر المحبة والتعاطف والتآلف بين الجميع بغية تقارب الأفكار والمعتقدات عندما تنتقل تلك الأفكار من حيز الآباء الى ساحة الأبناء ، ومن ثم الى ربوع الأحفاد ٠

وهناك من الناس من يعتبر اللغة أسمى واكبر من ذلك ـ يقول الدكتور محمد محمود الصياد تحت باب الأمة العربية : (١)

« ليست اللغة مجرد مجموعة من الأصوات المصطلح عليها للتعبير عن رغبات الانسان ، وليست هى مجرد أداة لنقل الأفكار والمعاني ، وليست هى مجرد تراث يحفظ لنا ما أبدعه الأسلاف من فنون ومعارف ، وليست هى مجرد مقتطفات من أدب الجدود تدرس وتحفظ ، وليست هى مجرد مرآة تنعكس فيها آمالنا وآلامنا ومشاعرنا ٠ ليست اللغة مجرد هذا أو ذاك ، بل إنها كل هذا وكل ذاك ، بل هى فى الواقع اكثر من هذا وذاك ٠ إنها شىء يتعلق بالوجود الروحى للانسان فهى رمز الوحدة الروحية بين الناس ٠ ومازالت الولايات المتحدة الامريكية وقد استقلت عن بريطانيا منذ عهد بعيد ترتبط بها برباط اللغة الروحى الذى كثيراً ما دفع بها الى تحمل التضحيات » ٠

إن أية لغة فى الوجود تكوّن العنصر الفعال ، والعامل الاصيل فى تكوينات كل قومية لدى شعوب الارض ، فلا غرابة أن تكون أيضا روح الأمة الواحدة ومحور قوميتها ٠٠ إنطلاقا من أن وحدة الفكر والتاريخ واللغة هى فى الحقيقة مقوّمات القومية الواحدة ٠ بل ليس باستطاعتنا التعرف يوماً على أى شعب من الشعوب وتمييز آدابه ، ودراسة فنونه ، والوقوف على تاريخه إلا اذا اتقنا لغته ـ فكيف لبعضنا أن ينسى فضل لغته ، أو يتناساها فينكرها ؟ !

(١) اقرا كتاب المجتمع العربي والقضية الفلسطينية

ولا جدال بأن الشعور القومى ، ووعي الذات ، والثقافة القومية كلها ليست فى حد ذاتها إنغلاقا ينحو الى العزلة وعدم التواصل ، أو إندفاعا وراء مرحلة تجاوز الانسانية والتفكير الاقليمى الضيق • إنما هى تعبير صادق عن الوعي العميق الذى يوحد القيم الانسانية والاهداف القومية الكبرى فى اطار موحد •

وما أفدح خطأ اولئك الذين يضعون فى غرارة أنفسهم حين يحملون القومية العربية اكثر مما تحتمل ، ويجاهرون بمحو القوميات وتخطى حدود المجتمعات القومية نحو المجتمع العالمى الواحد ، او كما يطلقون عليه المجتمع الموحد ! وانما لا يدركون تماما القومية العربية بمحتواها وشكلها واهدافها الصحيحة ومقاصدها النبيلة الواعية ، وإن تفكيرهم الضيق يوحى لهم بأن مفهوم القومية هو مفهوم يدعو الى العزلة والاستعلاء والعداء والانكماش والى غير ذلك من الصفات ، وهم فى هذا دون شك ينتهون الى نتيجة خاطئة !

لكن القوى المغتصبة فى العالم شرقا أو غربا ، وسيان حملت فى جعبتها شكلا جديداً او قديما ليست فقط تلك التى تسعى الى الانسانية وتقتلها أينما تجدها ــ وانما تمارس فى كل وقت قتلا من نوع آخر ، هو قتل آرائه وعقيدته وقوميته ، وشل تفكيره ومبادئه ومثله العليا • ورغم ذلك سيظل الفكر الصادق الحر حياً متجدداً بآرائه واهدافه وأصالته مهما امتدت اليه يد العبث والتشويه •

لقد كانت القوى المغتصبة فى العالم مثلا لا تدخر وسعاً فى اى وقت تتاح الفرصة فيه لنقل الأفريقيين فى الماضى رغم ارادتهم أو بسبب بعض الظروف التى يعيشونها الى « الدنيا الجديدة » غير أن الافارقة ظلوا يتحدثون بلغتهم التى هى جزء من أصالتهم ، ويتناقلون حكايات الماضى وآداب الأسلاف ظلوا ، يتكلمون بلغات بلدانهم التى تركوها قسراً ، أو رحلوا عنها عنوة يحملون عذابات السنين بسبب إغراءات الغرب أو سيطرته !

هناك الآلاف من الكلمات الافريقية الأصل التى فرضت وجودها عشرات السنين على اللغات الأخرى كالبرتغالية فى البرازيل ، والاسبانية فى كوبا وهاييتى ٠٠ تماما كما هو الحال بالنسبة للغة العربية لعرب الجنوب كالحضارمة واليمنيين الذين هاجروا طلباً للرزق والكسب والاستزادة من الخبرات فى بعض اجزاء العالم كأندونيسيا مثلا. بل لقد باتت اللغات الافريقية رباطا قويا للتفاهم فى بعض الولايات الامريكية الشمالية مثل (كارولينا ، واركنساس وفرجينيا) وغيرها من المناطق والتجمعات الزنجية بسبب ظروفهم الاجتماعية ـ أو بالأحرى تعسف حكم الطبقات ٠ (١)

ويمرور الزمن اثبت الواقع عكس تلك الادعاءات حيث تفتتت الاسطورة الغربية على صخرة الفكر الأفريقى العاتية ، وصححت تلك العبارة التى تزعم أن « الافريقيين شعب بلا تراث ، بلا آداب » ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا أن تلك اللغات الافريقية وما حملته من افكار قد ظهرت من جديد ، وعاصرت جميع الوقائع فأثبتت فاعليتها وجدارتها ومنها لغات : (الناجو أو اليوربا) النايجيرية ، (الجيجى أو الفون) الداهومية و(الكيمبوندو) الانجولية ٠

لم يجحد الأفارقة قط فضل لغتهم، بل ظلوا مخلصين لها ، ومحافظين على آدابها وثقافتها حتى أصبحوا حقاً طلائع الأدب الافريقى (الأدب الزنجى) فى هذه الآونة ، رغم بعد المسافات وتحوّل السنين فى حياتهم ورغم إرادة الغرب ٠٠ لقد اثبتوا « للعالميين الجدد » أن افريقيا بلد حضارة ، وتراث وآداب تنقل مختلف سمات الانسانية وتطلعاتها ٠

---

(١) إقرا كتاب دفاع عن افريقيا تاليف سعد زغلول نصار

ومما سبق نجد أن اللغة هى ليست ألفاظاً تتركب وكلمات تنسق سيان كانت قولا أو كتابة انما هى معانى جميلة وأفكار محكمة تنفذ الى قلب الفرد بعد أن تنساب فى أعماقه وتترجم أحاسيسه فينفعل بها ويتفاعل معها عاطفياً ووجدانياً مع بنى قومه · ولا خير فى أمة لا تحافظ على لغتها وثقافتها وتراثها وحين تتصنع الأمة لغة دخيلة عليها وتتدرج تحت لوائها ، نجد أن تلك الأمة تفقد شخصيتها بالتدريج وتتحلل مع الزمن مقوماتها عند ذلك تكون لقمة سائغة للغير لاحتوائها واخضاعها ·· لأنها بذلك اصبحت جزءاً من الأمة الاخرى التى اقتبست منها لغتها · وماضى أية أمة كانت على وجه الارض هو ملتقى لجميع روافدها حيث يجمع التراث والقيم الاخلاقية والاجتماعية · وحين تقطع الأمة صلتها بماضيها وتتنكر له سرعان ما تفقد ذاتها وتذوب فى كيان غيرها من الأمم · وبالرغم أن للاسلام دور خطير فى تكوين القومية حين يمدها بعناصر اللغة والتاريخ المشترك والعادات وأنماط السلوك الاجتماعى ، إلا اننا نجد ذلك السؤال الذى يطرح نفسه وهو ·· هل هناك تضارب بين القومية والدين ؟

ويحضرنى هنا ما قرأته فى بحث مطول « مع القومية العربية وتحت عنوان القومية العربية والدين » *

يقول البحث : « القومية العربية هى واقع الحياة اللغوى والتاريخى والجغرافى والثقافى ، وكل ما يحوى هذا الواقع من وحدة فى العادات والتقاليد والمصالح والاهداف والمعطيات وما تولد عن ذلك كله من شخصية جماعية متميزة لصقت بالأمة العربية ، اما الدين فهو رسالة تقوم فى جوهرها على مجموعة من الفضائل تستهدف الارتقاء بالانسان نحو الأفضل ، بما تبث فيه من مفاهيم الخير والحق والعدالة والاخاء والانسانية » ثم يضيف البحث نقطة هامة نقف عندها هنيهة لنعرف مدى تلك الصلة الوثيقة بين القومية والدين :

---

* مع القومية العربية : اصدار اتحاد بعثات الكويت لعام ١٩٥٧

« فالقومية هى واقع حياة ٠٠ هى وجود اجتماعى ، والدين هو رسالة أتت لتعالج وتهذب حياة معينة كانت تعيشها القوميات ، وتغير فيها نحو الافضل ٠٠ على هذا الاساس تختلف القومية عن الدين على أساس أن القومية وجود والدين رسالة أتت تصلح بعض جوانب هذا الوجود » ٠ (١)

ولهذا نجد فى أحايين كثيرة أن التراث الاسلامى والعربى يندمج فى بعضهما البعض ويصعب على المتتبع لهذا التراث التمييز والفصل بين الاثنين ٠٠ بالرغم أن لأنصار فصل الاسلام عن القومية رأى يخالف ذلك ! وللاستاذ الدكتور صوفى حسن ابو طالب رأى فى هذا الموضوع عن القومية العربية :

« والتراث ليس مجرد حنين الى الماضى بل هو مشاركة حية بين الاجيال الماضية والاجيال الحاضرة وجيل المستقبل ٠ فهل نستطيع ان نميز ما هو عربى وما هو اسلامى فى هذا التراث ، فهل نستطيع ان نجرى هذا التمييز فى خصوص التاريخ ؟ أحسب ان الاجابة بالنفي ٠ فاذا سلمنا بذلك فان على أنصار فصل الاسلام عن القومية العربية ان يدلونا على المصدر الذى يستمدون منه ايديولوجية الأمة العربية ويحددون به طابعها القومى ويميزون به شخصيتها القومية ٠ إنهم بالخيار بين أمرين : إهمال التراث الاسلامى والتاريخ الاسلامى والعمل على خلق مفاهيم جديدة ومثل عليا جديدة وقيم جديدة ، ولا شك انهم سيتأثرون بما يحيط بهم من افكار غريبة عن الامة فينقلونها حرفياً أو يتخيرون بعضها ويفرضونها على الأمة ٠ وهذا يؤدى مع الزمن الى ان تفقد الأمة كيانها وذاتيتها وهو أمر لا يرضون به ! والخيار الثانى هو الاعتماد على التراث الاسلامى والتاريخ الاسلامى ، وبذلك يتلاقون مع أنصار اعتبار الاسلام عنصراً فى القومية العربية ٠ » (*)

---

(١) مع القومية العربية : اصدار اتحاد بعثات الكويت لعام ١٩٥٧

(*) المجتمع العربي والقضية الفلسطينية ٠ تاليف مجموعة من الاساتذة

وحينما نتحدث عن القومية نجد انها بلا شك هى التى لا تنزع الى عالم مقفل ، أو تؤدى الى العنصرية والتعصب والاستعلاء كما فعل فى الماضى أصحاب نظرية ارتقاء العنصر (النازيون) ونظرية النخبة الممتازة (الفاشيون) ــ بل أن هناك لا تناقض اطلاقاً بين القومية من جهة والعالمية من جهة أخرى ، اذا أدتا دورهما الايجابى معاً ، وحملتا فى ثناياهما ذلك التحدى الشريف · واذا اعتبرنا ايضا ان القومية هى جزء من العالمية ، فنجد مثلا أن هذا الجزء يشكل النواة بالنسبة للدوحة الكبيرة التى تحمل على أفرعها كل القيم والأهداف الانسانية الكبرى ·

لكننا فى نفس الوقت علينا أن نتأمل بعمق فى نظرية العالمية ، وما تنطوى عليه مقاصدها ، ومواضيعها التى تقود الانسانية الى المد الاستعمارى ·· حتى ولو وصفت تارة بالوحدة الفكرية ، وتارة أخرى بالتلاحم المذهبى !

يقول صاحب كتاب معذبوا الأرض : « إن الخطأ الفادح ، الخطأ المثقل بالنتائج الخطيرة ، هو أ ن نحاول الى القفز فوق المرحلة القومية · واذا كانت الثقافة القومية هى التعبير عن الوعى القومى ، فاننى لا أتردد فى القول ، فى هذه الحالة التى نحن بصددها الآن ، أن الوعي القومى هو أنضج شكل من اشكال الثقافة · إن الشعور القومى ·· الذى ليس تعصباً قومياً ، هو الأمر الوحيد الذى يهب بعداً عالمياً » · (١)

ولا مناص من أن هناك اكثر من هذه العوامل التى تخلق الأصالة لدى المجتمع لكى تكون قوية ومتجددة حيث ترفض الخضوع تماماً للعناصر الغريبة ــ وأما غير ذلك فهو دفع بالأمة لأن تصبح بلا كيان ، بلا شخصية ولا قومية ــ كما يحدث فى اغلب بقاع العالم حيث التكتلات وسياسة التحويل !

كما انه ليس هناك ثمة شك لايجاد أساليب بناءة يهدف العالم اليها ، ويمكننا التعرف عليها والاستفادة منها ــ ولكن بالوعى الكامل والتقييم الشامل والمرونة المستوفاة ·

(١) معذبوا الأرض · تأليف فرانتز فانون .

إن الوعي فى حد ذاته دفع بالمرء الى تبيان الحقيقة واجلائها ، وأما المرونة فتعنى التفاهم مع الآخرين ، وإلتقاء الافكار وانصهارها فى بوتقة التعاون المثمر لسايرة الركب الحضارى ، وايصال المجتمع الى مقاصده الضرورية فى الحياة ٠ كذلك فان التقييم المعهود هو مقياس دقيق لمعظم الأمور ، وفرز للغث والسمين ٠٠ ومن ثم تلاف لاكثر الاخطاء التى توصل الى التخلف والجهل بجميع صورهما !

وبطبيعة الظروف التى تجتازها أمتنا حيث التطورات الجديدة ــ فانها مطالبة بأن تشترك مع الأمم الاخرى فى مبادئها كالسلام ، والحرية ، والتعاون العلمى والفنى بكل ما يدعم حاضرها المعاش ومستقبلها المرتقب ٠٠ كما اننا أبناء أمة تنفرد بتاريخ طويل ، وقومية أصيلة ذات ميزة معينة وتراث وقيم نؤمن بها ، ونذود عنها ونحرص عليها كحرصنا على كياننا ــ وحيث لا وصاية لاحد من الأمم علينا ، ولا إنتماء مفروض ينطوى فيه كياننا وتذوب فيه شخصيتنا ٠



نحتاج ٠٠ الى روح انسانية

من دلائل الوعي والتقدم لدى الامة ان نجد ابناءنا يمارسون حقوقهم القومية ، وواجباتهم الاجتماعية والدينية وحياتهم العملية بعيدين عن روح الاثرة المادية وفقدان الشعور بآلام وآمال الاخرين من اخوانهم ! وحين تتعثر خطوات العزة والازدهار والتقدم في وطن ما ، لانجد سوى افرادًا يعيشون وهم لا يطمحون في شي غير اشباع رغباتهم ، والانصياع لمتعهم بالجرى خلف مطامعهم الفردية بين الاخرين في المجتمع ٠٠ بل لم يعيروا في هذا ادنى اهتمام لحقوق ومسئوليات تفرضها الانسانية ويؤمن بها في نفس الوقت الوطن والامة٠

ان اولئك النفر لا يزدادون بعداً في اى وقت عن اية نفس مادية ٠٠ ولا ينقصون درجة عن عالم لا يقيم للمفاهيم والمشاعر وزنا حين يصفون هذه وتلك بأية تعابير ادبية او منهجية، ان الانسان الواعي ليس هو من تحمل « السحب القاتمة » امانيه لتطير بها بعيدا عن قضايا وطنه وامته على السواء ٠٠ انما هو جزء من الكل الذى يستخدم جل امكاناته تحت تصرف المجموع ، وفي اطار مفهوم التضامن الجماعي٠

على ان المجتمع بامكانه يوما الارتقاء الى ذرى الامن والاستقرار والتطوير الخلاق وذلك بالتخلص يوما من « اى عطل » يصيبه ويعوق تقدمة اذا ما خلص افراده للقضاء على كل نزعة مادية وتهاون فردى٠

انه من الحمق والسخافة حين نتخيل الحرية الشخصية هى الحياة الخاصة « نعمل فيها كما نحب » ونتصرف بها كيفما نشتهي ٠٠ لان اى اعتراض من الاخرين يفسره البعض بمثابة تدخل فى شئونه الخاصة ، او ربما (الاعور على العميان باشا)٠ ان العكس هو المعقول والصواب حيث اعتقاد الجميع ٠٠ ان ليست للحرية في شى حين تنتهك فئة من الناس مشاعر واداب الاخرين ، انطلاقا من نظرية بأن الآداب العامة ليست كقطع النقود الصغيرة يضعها اولئك فى جيوبهم متى شاءوا٠٠ وعلى اعتبار ايضا ان شارع المتنبـــى ليس هو « آبربارلنت ستريت» !

فالاحرى بهم ان يدركوا بعمق واصالة تلك الهوة السحيقة بين الحرية الشخصية والفوضى الفردية ، او تلك الفجوة بين الحلم والواقع قبل ان يساء بسهولة استعمال الكلمات فتختفى مدلولات الاشياء ! ان الايمان بضرورة قيام العيش الكريم ورعاية الحقوق لجميع الافراد لا يعنى مطلقا القبول بالعيش ورفض قيم العيش٠

على ان اولئك الذين لا يفرقون بين الفوضى والحرية ٠٠ والأجدر بهم ان يتجهوا الى التقيد بأنظمة وقواعد تتسق مع واقع الحياة ٠٠ اى ان الانسانية التى تنهض على اساس واه من الاضطراب والفوضى غير التى تستند على دعائم صلبة من الايجابية والتفهم حتى تضبط شئونهم من جهة ، ويكفل الامن والاستقرار والرخاء لحياة الاخرين من جهة اخرى ـ قبل ان تظل الحقيقة قصة مكتوبة « سطورها على الماء » والعمل سلسلة ذهبية تلف حول الاصابع !

يقول برتراند رسل :

« المواطنون كما تتصورهم الحكومات هم الاشخاص المعجبون بالنظام القائم ، والذين هم على استعداد لاجهاد انفسهم فى سبيل الاحتفاظ ، بذلك النظام وانه لمن عجب انه بينما تستهدف الحكومات جميعا اخراج رجال من هذا الطراز دون اى طراز اخر ، ترى ابطالها من رجال الماضى »(١)٠

لكن هل كل رجال الماضى كانوا يؤمنون بالنظام الذى يقصده ذلك الفيلسوف ؟ وهل باستطاعة شبابنا وعلى استعداد لاجهاد انفسهم فى سبيل الاحتفاظ بالنظام بعيدين عن اية سلبية او فوضوية ؟ اننا لانزال في حاجة الى روح انسانية متفهمة تجيد الخلق والابداع ، وتتحلى بالنظام ثم تؤدى دورها الايجابى فى نطاق التعاون الجماعى قبل حاجتنا الى « نظريات وهمية » وتيارات فكرية متصعدة نملأ بها بطون المحافل والمجالس وصفحات الكتب !

---

(١) برتراند رسل ـ حياته وافكاره تأليف الدكتور زكى نجيب محمود ٠

أين مكانها ؟

لاريب ان المرأة فى ايامنا تطمح فى ان تحصل على قدر واف من التجاوب والتقدير والنظرة الموضوعية من قبل ندّها الرجل حين تعرض المسئوليات وتقسم الواجبات ـ اكثر مما حصلت عليه أختها ايام الحضارة المصرية القديمة · فقبل اكثر من ستة الاف سنة وحين كان اجداد « داروين » يمشون على الاربع ، اعترفت الدولة المصرية القديمة بالمرأة فخولتها فى المجتمع مركزا شرعيا ·· واباحت لها الاشراف على اسرتها وتولية امورها الخاصة ، بل اعتبرت ان واجباتها الوطنية والاجتماعية جزءاً لا يتجزأ من حقوقها الاسرية·

ورغم ان المرأة بذلت جهودا لا تقل نبوغا ودعما لمطالب المجتمع عن الرجل ·· فلم يكن نصيبها الا مزيدا من العطاء والصبر والقناعة والتضحية بعيدا عن مجارى الدموع ، وشعارها فى ذلك هو الاعتماد على النفس ، والثقة بوحدة المصير والسعى من اجل تحقيق الاهداف· غير ان المكان الذى تتواجد فيه وتحتله صعب المنال ، وملىء بالاشواك والاصوات ·· اشواك التهرب من منطق العرفان بالجميل ، واصوات الاستياء والاستهانة بتوزيع اعباء المسئولية ! هل من العجب فى شى ان تخلق المرأة من نفسها كيانا مستقلا فى عالم يحلو لمعظم الرجال الاستبداد بالرأى فيه ؟

ان المرأة عندما تطالب فى أي وقت بأى نوع من « الحقوق » فانها لا تطلبه استجداء او معروفا او احسانا ·· ولكن تطلبه على اساس انه واجب وحق ومسئولية ، وباعتبارها تشكل نصف الامة ، ويقع عليها نفس العبء الذى يحمله ويؤديه او يستوعبه اخوها الرجل !

لقد عرفنا المرأة وهى تحمل الشيء الكثير من معانى ومعاناة الانسانية ٠٠ حيث آمنت بالمبادىء والمثل ، واعتمدت على النفس وبذلت اقصى الجهد ، ولم تطمئن على مصيرها الا بعد ان شاركت ندها الرجل فى اغلب المسئوليات ومعظم الالام. عرفناها طبيبة وملاك رحمة تخيط جراح الالم بعقار الامل عندما تتفتح دمامل الطبيعة ٠٠ عرفناها عالمة وأديبة وشاعرة ومناضلة تنثر بذور المحبة والوفاء على روابى الحرمان ، وتسطر قصة الكفاح على جدران السجون. عرفناها مربية فاضلة تحيك من عذاباتها نسيج المودة والثقة والتفاهم وتلبسه للجيل الناشىء ٠٠ وعرفناها أماً رؤوماً تضىء بحنانها وجه الكون المظلم ، وزوجة وفية تضحى براحتها لاسعاد غيرها ، بل تسهر على هناء الابناء والاخوة ، وتهذيب نفسياتهم وتقويم اخلاقهم. ألم تكن هى الشعلة التى تضىء جوانح الحياة فى كل وقت ؟

وهكذا نعرفها على مر العصور قائدة تطعم وليدها للهيب الحرية ومجاهدة ترتدى اردية الميدان وتحمل السلاح للذود عن وطنها وامتها يوم كانت قذائف مدافع العدوان تقتنص ارواح الابرياء ، وتحيل القرى والمدن والمصانع الى اكوام الرماد والخرائب. ألم تكن القذائف تختار ضحاياها دائما من الرجال ــ والنساء ، وانها لا تفرق ابدا فى تمزيق جثث الذكور والاناث ؟!

حقا ان المرأة جميلة دائما فى كل شىء ٠٠ جميلة فى حبها وعذابها جميلة في امومتها ونضالها ، جميلة فى شموخها وشقائها ، بل جميلة فى صبرها وصمودها ٠٠ فاذا كانت المرأة كذلك ، فهى اذن لم تعد بعد ذلك « لغزا محيرا » يصعب فهمه ، ولا مجموعة من الشكوك تظل راسية فى محلها ، ولا هى اخيرا زهرة برية متوحشة عديمة الذوق والجمال والرائحة ، فلماذا لا نتجاوب معها ؟ لماذا نحرمها فى اى وقت تلك النظرة التى تتسم



فى موسم جنى القطن تخرج المرأة الى الحقول لتساعد الرجل فى هذه العملية التى تستغرق اسابيع طويلة وتحتاج الى
كل الأيدى العاملة . وفى الصورة ثلاث نساء يجنين القطن في أرض الجزيرة جنوب الخرطوم .

بالموضوعية والشمولية البعيدة عن المحاباة والاستهانة ؟ ويبدو لدينا جليا مدى احساسها العميق ومشاركتها الفعلية فى الحياة بين اشقائها الرجال حين تخطر ببالى تلك الحادثة الطريفة ٠٠ حين بادرت سيدة سوفيتية فى قلب مدينة لينجراد فى زمن الحرب وشرعت فى تنظيم المرور للقوات المناضلة ـ ورغم الغارات الكثيفة من قبل العدو على المدن والاهالى ٠٠ ويومها قابلها احد مارشالات الحرب ودار بينهما هذا الحوار :

ـ ماذا تعملين هنا يا أمرأة ؟

ـ كما ترى ياسيدى : انظم المرور ٠

ـ وهنا سألت السيدة المرشال بعد ان خامرتها الدهشة : وانت ماذا تعمل هنا يا مارشال ؟

ـ فقال باعتزاز وحدة : انا مكانى هنا يا امرأة !

ـ فردت عليه هى الاخرى بكل حزم واصرار : وانا مكانى هنا ايضا ٠

ولانشك لحظة ان نجد هذه الصورة تتكرر فى مجتمعنا اذا ما وجدت القدرة والوعي اللذان يضيفان ملامح جديدة فى هذا الجزء من العالم بعد ان تحاصر المرأة تدريجيا حياة الفراغ والعزلة ٠ ان الاحتمال او القدرة التى تتمتع بها المرأة فى اى مكان فى العالم ربما تفوق يوما اى احتمال من جانب الرجل ٠ كذلك فان التفهم والمجابهة والصبر على المكاره من جانب المرأة لاشك يؤهلها باستمرار احتلال الصدارة بين افراد الامة اذا ما قيست الجهود يوما بأية قيمة معنوية او مادية ٠

وعلى مدى اللانهاية من عمر الدنيا نتلمس قيمتها تطفو فوق كل قيمة فى هذا الوجود ٠٠ وطالما عرفناها باسم « ماريا » العاملة البسيطة فى حقول الارز والمطاط والجوت ، فى مصانع الورق والنسيج والعطور ، بين مرتفعات

التبت وصحارى كلهارى وعلى منحدرات الواينابيجا .. حين باشرت شتى الاعمال ، وضاعفت انتاج بلدها ورفعت دخله القومى وحققت لوطنها وامتها آمالها الكبيرة ٠

هى اذن تلك الانسانة الرائدة التى كتبت على بطاقتها الشخصية « فلنتينا تريشكوفا » فغزت الفضاء للتعرف على اسرار الكون وخفاياه ٠٠ وهى العالمة المناضلة التى حملت اسم « مانيا سكلودسكا » او « مارى كورى » التى سكبت عصارة روحها فى كؤوس البحث والاستقصاء لتقدم للبشرية ثمرات العلم والجهد الطويل . هى ايضا تلك الانسانة المجاهدة التى عرفت باسم جميلة ، حين جابهت ابشع انواع التحدى فتمردت على العبودية والتعسف فى اقبية السجون من اجل كرامة الوطن والامة والمبادىء ٠ وهى بعد هذا كله الفلاحة الدائبة الحركة على ضفاف « الميكونج » ، تمسك بمحراث العزة فى حقل الانتقال الى الحياة الجديدة ــ بعد ان وطأت اقدامها الى الأبد هامة الرأسمالية وحفنة المستغلين ٠٠ بل هى في النهاية الشطر الآخر للانسانية ٠

غير ان تلك الصفحات المشرقة من عمرها تظل مطوية أبد الدهر ، وأية محاولة للاقتراب منها او مساسها لجلاء اسرارها تعتبر ضرباً من المستحيل وتظل أختنا ، كالشمس المشرقة تضىء ، وتضىء بسناها جوانح الكون المعتم حتى وان بدت غير جلية « لصديقنا الاعمى » الذى يصرّ على فقدان الضوء ٠٠ بل وتظل .. هذه المرأة على هذا النحو من الابداع والروعة والخصب كالشجرة الوارفة التى تهب الظلال والثمر والراحة والجمال ، فاذا بدا لنا ان نحيى يوما ربيع الانسانية فى أجمل انتاجه ٠٠ فلنحيى هذه الشجرة الدائمة الاخضرار ٠

خطر يهدد الشباب !

الفراغ مشكلة الشباب اليوم ، المئات ، بل الالاف على امتداد الوطن العربى ، يقضون أوقاتهم يلوكون احاديث معادة ، أو يبددون اعمارهم فى لعب الورق او التسكع او القتال فى مناقشات بيزنطية لا تدور حول هدف ولا تنتهى الى نتيجة .

ان المال والوقت فى هذه الحياة هما صنوان لا يختلفان فى القيمة . فالمال له قيمته المادية وكذا الوقت له اعتباره المعنوى ، وقد نتمكن من الحصول على المال عن طريق الكسب والمثابرة .. لكن الوقت فلا مجال لاسترداده . لهذا نجد ان قافلة الزمن تعبر الطريق دون توقف من غير ان تلقى بالاً لاولئك النائمين ، وهى فى مسيرتها الطويلة المضنية تحنى هامات الايام ولا تعبأ بأحد ، فمن ادركها مشى فى ركبها ومن لم يدركها فاتته الفرصة ، فلا استطاعة ولا أمل له فى اللحاق بها فى النهاية !

الوقت اذن هو امضى سلاح لتذليل ما يعترينا من صعاب واقوى ركيزة فى اعمالنا حين تكلل الجهود بالنجاح .. بل ليس أجدى فى الوقت ذاته من قضاء الساعات فى امور تولى العقل معرفة ، وتكسب الجسم صحة ونماء ، والاخلاق سموا والنفوس رفعة وصلابة . وما اكثر تلك الاعداد الهائلة على شاطىء خليجنا الابى وهم يرتادون المقاهى والنوادى ومجالس الانس والسمر - ولا اقول مجالس العلم والمعرفة - بحجة تمضية الوقت ، او الجدل حول المبادىء والشخصيات او المشاريع الوهمية !

انهم عادة يحمّلون المسئولية فى حديثهم هذا غيرهم حينما لا يجدون غبطة من تقبل « الافكار » بقدر مايرونها فى الاشخاص ، وربما حمّلوها اكثر مما تحتمل ، بل لان الافكار لديهم ايضا لا تعنى اكثر مما فى الاشياء !

ولا نجافي الحقيقة اذا قلنا انه يروق للبعض ان يخوض فيما نسميه بالمعارك الكلامية في المجالس ، ويخوض طرفا من ذاك الصراع الخفي الجامح بين المتطرفين لهذا الرأي من جهة ، والمتصلبين ضده لمبدأ اخر من جهة اخرى ! ونحن لا يمكن ان نرجو من وراء ذلك في اية لحظة منفعة مجدية توصلنا الى نتيجة مرضية غير ثرثرة مملة ٠

وما اكثر التجارب الانسانية التى تتصف بالعمق والاصالة ، وما اعظمها حين تنقب عن الافضل ٠ لو كنت أملك التوجيه لنصحت الشباب بتغيير نظرته عن اقتناع من خلال المعرفة والواقع ٠٠ وعلى اساس ان يصحب كل رغيف خبز يؤكل في المنزل كتاب يقرأ ــ فمن لا يستطيع شراء الكتاب يستطيع استعارته ٠

ألم يكن الكتاب كما يقول المثل الروسى « كالماء يجرى في شتى المستويات » ، فما الذى يمنع من قراءة كتاب او اثنين في كل وقت فراغ ؟ واذا كنا نعتبر تزاحم الكتب على رفوف مكتبة البيت للمطالعة والتثقيف هواية فما بال البعض منا يعتبره مظهرا للافتخار والزينة ٠٠ ويجدر هنا القول بأن الغرض الاساسى من تلك المطالعة ليس تكديس المعلومات التى تتخم الفكر ، فلا يقوى على هضمها. ان الغرض من هذا « الشره العقلى » كما يصفه استاذنا ابراهيم عبدالقادر المازنى هو الاستفادة بقدر الامكان من الاساليب المدعمة للأفكار ، والمشحذة للهمم والمواكبة للواقع في حياتنا العملية والنظرية ٠ ثم ألم يكن بوسع الفرد قضاء بعض الوقت في ممارسة هواية محببة فيها متعة ومنفعة عظيمة معنوياً ومادياً خير من اهدار الوقت ٠٠ ما باله لو تعلم لغة اجنبية اخرى حتى تدفعه لمعرفة آداب العالم وفنونه ، او صنعة تقيه شر ايام سود !

أليس للوقت قيمة ، فما الذى يدفع الفرد منا لتضييعه وهو قابع في المقهى والمجلس واقله جزء من النهار او طرف من اطراف الليل دون جدوى غير

الجدل الخاوى والحديث المبتذل وهو فى هذا بعيد عن التطورات والاحداث اليومية ـ وسيان عنده « ان دقت الاجراس ، ام لم تدق » ٠

الا ترى معى ان هناك البعض ممن يتشبثون بقطف لحظات اعمارهم ٠٠ تلك اللحظات التى يستنبط فيها الانسان اتجاه مسيرته ويتحسس أهدافه ، ثم يرسى ما امكنه من قواعد البناء التى تعينه على الحركة والعمل رغم ان القواعد والاتجاهات تتفاوت وتتباين من انسان الى اخر ٠

وماذا يضير بعضنا التقيد باتباع اسلوب محتوم ، او طريقة محددة وراء شعور وتفكير لبصيرة نيّرة ؟ ولا جدال ان الاطلاع الواسع على ما يحويه النقد الهادف والتأويل والثقافة الشاملة لكل جوانب الحياة هو تعزيز للشخصية المرموقة ـ ان جاز لنا التعبير ـ وبالتالى صقلها بعيدة عن اى نفاق اجتماعى ، او ابتذال نفسى لا يجنى من ورائهما غير بعثرة الجهود ٠

ولا جدال ايضا ، فى ان الفائدة التى نجنيها من انشغال وقتنا بأى نمط من انماط الرياضة مثلا ، مما يزيد النفس صحة ، ويجدد شوقها للعمل والاستمرار ٠ كذلك فان التأمل فيما يكتبه الادباء والعلماء ، بعيد عن كل تأنق لفظى وخروج عن المضمون عن طريق حشو المعلومات ، ثم الاتصال المباشر بسائر الفنون الاخرى كالمسرح وغيره مما تهب النفس ثقافة وتعمقا تقوى ملكات صاحبها ، وتنمى فيه الشعور بالمسئولية ، وشوق التعرف على اسرار الحياة والكون بما فيه ٠



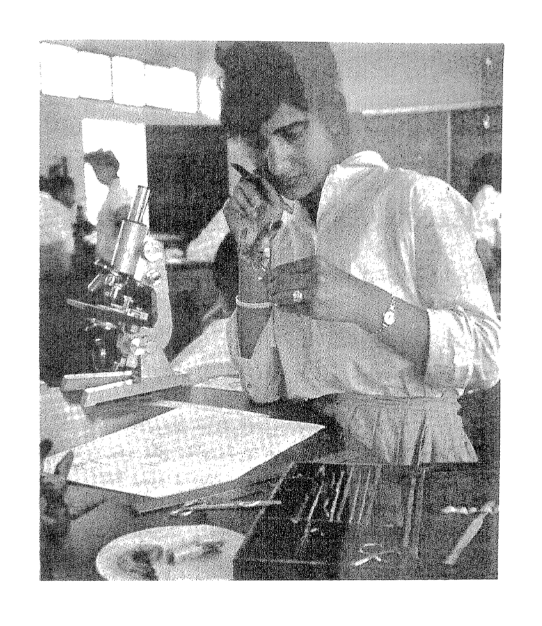
أيها الأب كفاك نوماً ٠٠

آلمنى ما شاهدته من خطوط الملل والحيرة المرسومة على وجهها فى الوقت الذى يكمن فى اعماقها سر التفاؤل والامل ويشع من عينيها نور الاصرار وبريق الحزم بعد ان افضت لى ما يعتمل فى خلجات قلبها الابيض فصوبت سهم حديثى الى مسامع والدها المهذب :

مما لا شك فيه ان العلم هو المشعل الذى يضىء لنا سبل الحياة الوعرة فنرتقى به الى ذرى المفهومية والمسؤولية والادراك ، ولولاه ما حظيت الامم باكبر قسط من التقدم وما نعمت بنسيم السعادة والرخاء ، كما ان طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة بل واجب مقدس يتحمل تبعاته كل فرد فى هذه البسيطة سواء كان ذكرا او انثى ٠

ان صرح المجتمع يرتكز على دعامتين قويتين هما الرجل والمرأة ، فان دب الخور وسرى الضعف فى احدهما انهار ذلك البنيان الشامخ وهوت دعائمه ٠ وطاقة العلم هى القوة الاساسية المسيرة لعجلة التطور والأزدهار ٠ فلا خير فى عمل فى الحياة لا يعتمد على علم كما ان لا جدوى فى علم لا يصحبه عمل ، فاذا ركزنا اهتمامنا لتعليم الرجل واهملنا الجانب الآخر خلقنا فجوة فى جدار التقدم والحضارة تنفذ منه معاول الجهل والتخلف ، لذا سعت الامم منذ البداية بخطى حثيثة لتحقيق ما ترنوا اليه من آمال عريضة لتعويض ما فاتها من عز ومجد واللحاق بركب المدنية ٠

والملاحظ عندنا فى مجتمعنا الخليجى بالرغم من وعينا المتجدد واتساع فوهة مداركنا لفهم المسؤولية نرى ان الشاب وحده تتاح له فرصة التعليم العالى بقدر اوفى واوسع ولا ندرى لماذا فلعل هذه الاسباب ترجع الى البيئة التى يعيش فيها والمهتمون من الآباء الذين يشرفون على تعليمه وتهيئته



طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ٠

للمستقبل الذى يصنعه بعرق كفاحه ويدعمه بنور علمه ويبنيه بقـوة ساعديه ٠ اما الفتاة المسكينة فيقتصر عليها مناهج التعليم العالى وتحدد لها سبل الدراسة فى بعض العائلات التى لا زال اربابها يتمسكون بقشور الدين ويستندون على ركائز العصبية العمياء فيختلقون شتى المعاذير وينسجون الأسباب الواهية لاقناع الفتاة او بالاحرى منعها لتكملة دراستها الجامعية ، يتعللون بمفهوم شرقيتنا وعروبتنا الاصيلة ثم مضمون ديننا الحنيف واقول وربما يجدى القول او تنفع الذكرى ٠

١ ـ ان ديننا القويم لم يفرق او يحرم المرأة حقها فى الحياة كالصحة والتعليم مثلا ولا يمانع فى اى وقت مضى تعليم الفتاة او المرأة كما انه لا يحدد لهن بل يؤيد طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة لما فيه من فوائد جمة تساعد الفتاة على تفهم أمور دينها الاسلامى واداء واجبها الاجتماعى معا ٠

٢ ـ ان شرقيتنا وتقاليدنا ومثلنا لم تكن فى يوم من الايام حائلا يحول الفتاة عن تحقيق رغبتها وطموحها وما تسعى اليه من اهداف نبيلة ايمانا منها انه كلما تسامى مجهود الفرد الشخصى لطلب العلم ارتقى مستوى انتاجه وزادت افضليته فى المجتمع وكلما عظمت تلك المسؤولية كان فى حاجة اوفى لمدارك العلوم وعظم الامور ٠

٣ ـ ان بعض الآباء لا زال حتى الآن يفكر بعقلية توحى الى ان الفتاة ضعيفة الارادة سوف يغرر بها او لا سمح الله تنزلق الى المهاوى غير المرضية بسبب اختلاطها والحقيقة ان هذه الاشياء لا يقدر الانسان ان يتصورها او يحتمها فالاعتماد اولا واخيرا على الاخلاق التى تتمتع بها تلك الفتاة وما لديها من وعي ثم البيئة التى غذت شخصيتها ونوعية الافراد التى تختار ان تعبر معهم جسر الزمالة والآن ولله الحمد نعيش فى مجتمع واع تتوارى وتندثر من رحابه وزواياه تلك المزايا التى تصرف شبابنا وشاباتنا عن تحمل المسئولية وعبء الحياة ٠

٤ ـ ان فى الشرق بعض الجامعات لا تزال متمسكة بعدم اباحة الاختلاط بين الجنسين كالكويت مثلا فهذه فرصة متاحة للمتلهفات الى ينابيع المعرفة ـ وايضا عذر مقبول لاولئك الآباء الذين ينادون بعدم الاختلاط او الحد منه وهناك الكثيرات من فتياتنا الناهضات اللاتى اتممن دراساتهن العالية بثقة ونشاط ٠

٥ ـ ثم نأتى اخيرا الى الغاية المثلى التى من اجلها تتطلع تلك الفتاة ، فالتى جل تفكيرها متجه الى الدراسة والمذاكرة لطلب العلم وماضية فى دربها الشاق بجد فائق وارادة صامدة لا تثنى عزمها السفاسف من الامور ولا تغريها مظاهر اللهو والترف ٠٠ فهدفها الاسمى العلم الذى جاءت وضحت بروحها من اجله مهما كانت تلك الظروف ٠

ايها الاب كفاك نوما وارفع رأسك لترى الفتاة المثالية وهى تشق طريق النضال وتخوض مضمار العمل وتقف جنبا الى جنب مع اخيها الفتى وتقوم باعمال جبارة فى مجال العلم على اكمل وجه بنفس يتدفق منها فيض العزم والصمود ٠

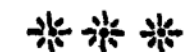
ايها الاب كفاك نوما وارفع رأسك لتتطلع الى المرأة وهى تتسلح بسلاح المعرفة لتدافع به ضد جيوش التخلف وتحمل السلاح لتحمى ارض الوطن ، تعالج بيدها الرحيمة آلام المرضى ويلقى على كاهلها عبء تنشئة الجيل الصحيح من ابنائنا الاخيار فهى تفهم واجبها نحو ربها ووطنها واخوانها وتحقق لهم ما عجزت عن تحقيقه فى الماضى ٠

ايها الاب كفاك نوما وارفع رأسك : آن لك ان تدرك انه لم تعد الفتاة سلعة تباع فى سوق الزوجية تتخلص منها وتدفعها الى الزوج كرها لا تعبأ بحالها ولا تبالى بحياتها رغم ارادتها وعلى حساب كرامتها فانت بذلك لم تسعدها بل زدتها شقاء ، فالمرأة الجاهلة لا تقدر النهوض بمسؤولية زوجها

وتربية أولادها تربية حسنة فان العلم يهذب نفسها ويرفع من اخلاقها ويدفعها للقيام بحاجيات أبنائها فيما لو اصاب زوجها أمر ما ٠

وبعد فان واقعنا اليوم ليس بواقع الامس وفتاتنا اليوم لديها من النضج العقلى لحل الامور وتذليل المشاكل التى تجابهها بتعمق وحصافة وتمضى قدما الى الامام من اجل حياة افضل ومستقبل اسمى بعزيمة صادقة لا تعرف الكلل وبهمة عالية لا توهنها شدة الصعاب ٠

ايها الاب العظيم خفف من حدة قساوتك ازاءها فلا تحطم حياتها بتعسفك ولا تطمس معالم شخصيتها بتزمتك ولا تكن سببا فى تكبيل حياتها الكريمة وعرقلة طريق تقدمها ٠ بل كن عونا لها بكل ما لديك من امكانية لتنهل من مصافى العلم وتتزود بزاد المعرفة ودعها تمد يد العون والتضحية والتكاتف للآخرين الذين تنير قلوبهم بسمة الامل وتذكى عقولهم اشراقة النصر فانها ليست ابنتك وحدك بل ابنة المجتمع وعليها يقوم الشطر المكمل لهذه الامة ٠



القسم الثالث :

ملامح انسانية :

١ ـ الأغراض الانسانية فى الأدب

٢ ـ ليست كل النساء كنساء اسبارطة ·

٣ ـ طاغور ·· الفنان والمناضل ·

٤ ـ العمل ·· ومشكلة العصر ·

٥ ـ عبدالناصر ·· والتاريخ ·

٦ ـ بالحب ·· نصنع المعجزات ·

الأغراض الانسانية فى الأدب

حماة الالة وأسرى المادة يخطئون خطأ بالغا حين يطلون بوجوههم من وقت لاخر، وعلى السنتهم أسئلة يتردد صداها فى الاسماع وهى : ماذا نحن جانون من الادب والادباء ؟ هل الادب أقام للانسانية المصانع او أنشأ لها المدن ؟ وهل هيأ للناس أسباب الرخاء والسعادة فى يوم من الايام ؟ وهناك أكثر من علامة استفهام ليدعموا بها مزاعمهم !

يتصور الكثيرون ان الادب تنحصر غايته فقط فى بلاغة التعبير ورصانة الاسلوب وفصاحة التركيب ٠٠ ومن يدرى فربما اعتبره بعضهم مضيعة للوقت ، وأهدارا للجهود ! لقد تناسوا ان الادب رسالة انسانية سامية لها وقع عظيم فى النفوس ٠٠ وهى خدمة الانسان والتأمل فى قضاياه ، وتصوير مشاكله الاجتماعية والفكرية والثقافية وغيرها . والادب ليس مرآة تعكس الواقع وتصوره ، أو تعبيرا خلاقا عن تجربة الحياة الانسانية من خلال معاناتها فحسب ، ولكنه مشاركة ايجابية فى تغيير هذه الحياة ذاتها وتطويرها لما يملك من قدرات للكشف والابداع وما يمتاز به من وسائل التعبير والتأثير ـ شريطة ان يدل دلالة اجتماعية او غيرها من نواحى الحياة عبر ميادينها الواسعة المتشعبة ، والتى غالبا تتسم بالملامح الانسانية ٠٠ والا لما سمى هذا المجهود ادبا ، وانما حسب فى مضمونه شيئا من الابتذال الرخيص ، او كان بغير عطاء حيث تخضعه الظروف أو تثنيه عن اداء رسالته المآرب !

ومهما غلب على الادب التعبير والابداع فانه قطعا يتميز بطابع فردى كالرسم والموسيقى والنحت والتمثيل ٠٠ وان كان الرسم مثلا لا يصور الحياة تصويرا حرفيا ، وانما يوضح بالاشكال والرموز قسماتها وملامحها

كالحيرة والابتسامة والخوف ، كذلك الادب يصف النفس الانسانية فى حالة من حالاتها ٠٠ كالحنين والتمرد ، والجد والقنوط والايمان والاعتداد بالنفس وغيره ٠

ان الأديب المنصف الواعى الذى يحمل بين جوانحه ، النزعة الانسانية، بل فى مقدوره ان يصور خلجات القلوب المنسحقة ، ويعبّر عن مشاهد الصمود والتضحية والصبر على المكاره ، ليس بالاشكال والالوان ولكنه بالكلمة التى يصوغها سيان كان شعرا ٠٠ نثرا ، بحثا اجتماعيا ، قصة او مسرحية ٠

ان رجاجة الفكر ونفاذ البصيرة والملكة الادبية لدى اى كاتب او باحث تمكنه من تحسس مرارة الحرمان على شفاه البائس ، وقسوة الالم في احداق المغبون ، ويرسم بقلمه ايضا اشراقة الجمال واطلالة الربيع على ثغر الكون ، او زفرات انفاس ملتهبة اضنتها تباريح الفراق والكمد ، كما ان بامكان الاديب كشف معمّيات الزيف والهوان فى حياة السذج والمغرر بهم. وهذا ما حدا بهم تسميته بالادب الانسانى او الادب الملتزم ٠٠ حيث يكون الاديب هنا انساناً منصفاً فى تفكيره واداء رسالته ، وتطلعاته ونواياه دون رغبة فى اى مطمح مادى ٠

ولا نعدو الحق اذا قلنا ان اهداف الادب قد تتعدى الحدود الوهمية التى حصر فيها ، والمقاييس التى تفصل بين اصحابه وافراد المجتمع ٠٠ بل تتمرد عليها جميعاً وتنطلق الى الامام اذا ما اتيح للاديب او الفنان فكر خلاق وعقل راجح وحصافة مستوفاة حين يتأمل ويتناول دراسة مستفيضة لحياة الافراد ، وتعدد البيئات وتكوينها ومؤلفات العلماء واثارهم القيمة. ولهذا نجد حين اطلاعنا على التراجم والسِّير فى المخطوطات نستدل مثلا على احوال الناس فى كل عصر ومصر ، ونفسياتهم ، معتقداتهم ، افكارهم واساليبهم فى الحياة اليومية فنزداد معرفة ودراية عنهم وهذا ما يعرف قطعًا بالاغراض الانسانية فى الادب ٠

وقد يكون للاديب اثر فعال فى بعض االاوقات لتحويل مجتمع ما من الانعزالية والانكماش وتخليصه ايضا من براثن الجهل والتخلف الى سعة المعرفة والتطور والكمال والانطلاق. وبمعنى اخر ان العنصر الانسانى هنا هو تحليل لشتى الحالات النفسية عن المجتمع وتقص لاوضاعه وحالاته المتشعبة المتفاوتة ، ثم محاولة جادة منه للوصول الى الحلول الملائمة لها · وبتتبع حقب التاريخ المتتالية نرى ان ما من تحوّل فى اى مجتمع يتخلص فيه من اغلال العزلة والتخلف والجمود والشر الى رحاب التعاون والخير والانفتاح الا وكان هناك فى الغالب اشراقة فجر ادبى يقود هذا التحول ، ويدفع بلا شك آمال المجتمع وتطلعاته الى الامام بمزيد من طاقات الوعي والنشاط ·

ان هناك من يملكون الافكار البناءة ، والاهداف الخيرة ، ويسجلون من حين الى آخر بأقلامهم ، ويتحرون الصدق والامانة حين يتجردون من تلك الالفاظ الخاوية · عندئذ تصبح جهودهم بمثابة امل يزيح عتمة اليأس المطبقة حول معالم الحياة فيحيلها الى نور وسعادة وازدهار ·

وقد لا نستبعد فى اى وقت ان تحتدم فى اعماق اديب ما مجموعة من الاحاسيس ·· هى مزيج من الصمود والبناء والتوق الى التجديد حين يستوعب نهجا يثير صداه فى اعماق المجتمع حين تجد فى ذلك موئلها الوحيد ــ يوم تعانق فيها اطياف العدل ، وتتنفس نسائم الحرية ·

وبتأملنا لاقوال العظماء امثال سقراط وهوميروس واحاديثهم وكتب موليير وفولتير وشكسبير الى احاديث الريحانى وجبران والعقاد والغزالى والرازى وابن سينا ·· نجد ان الغاية واحدة ·· كلهم سعوا جاهدين لاكتناه الروح الانسانية فى الحياة والامة وفى مظاهر الفن والفكر وآداب الشريعة وكلهم ثاروا على كتائب التخلف والهوان فى بلادهم ، وحملوا رسالات النهضة والتجديد فزرعوا فى النفوس حب العدل والحرية والوطنية والانسانية ·

كانوا يؤمنون دائما ان الانسانية هى لاشرقية ولا غربية المذاهب والمواطن ، ويرفضون العوائق المبينة على العقائد والجنسيات ، باعتبار ان الانسانية هى اليد الرحيمة التى تضمّد جراح الاحقاد والجور واهوال المطامع الفردية ببلسم التضحيةوالصدق والبحث عن الحقيقة ٠

واذا كان الادب فى مضمونه الحقيقى تعلق بقضايا الانسان ومصيره ، فليس اذن هو ضروباً من التأنق اللفظى المزوّق الذى تنبذه الاذواق وتمجه العقول الواعية ، والتى لا ترى فيه اى اثراء او جدوى غير كلمات وافكار هزيلة ارهقت ذهن صاحبها قبل ان تتبعثر فى حنايا السطور او تسيل على الشفاه او صفح الورق الصقيل !!

واذا جازلنا القول ، فنقول ان اصحاب هذا النوع من الادب لا يتفضلون يوما بسمو الغاية وعمق التجربة عن اولئك الذين يتفننون فى الاقوال ويتاجرون بها! واذا كان فى رأينا تقدير للموضع الذى تقال فيه الكلمة الصادقة فأول الواجبات على الاديب او الكاتب ان يصور بصدق وامانة جوانب الحياة فى المجتمع ، ويعكس افكار الامة ويعبر عن امانيها وطموحها٠

ان الاديب الذى لا يعبر عن امانى الامة وتطلعاتها ، ولا يقف بجانب وطنه فى قيمه النضالية فهو بعيد عن الامة ٠٠ بل غريب عليها٠ وليس من الانصاف ان ينحاز الاديب او الفنان الى افراد دون المجموع او قطاع من المجتمع دون قطاع آخر فيكون ادبه محتكرا لطبقة دون اخرى ٠٠ وانما قوله يكون صادرا عن تجربة ومعاناة لآلام وآمال الامة ٠

والمفهوم الذى لا يختلف فيه اثنان هو ان الادب هو تلك الرسالة التى تكمن فى غايتها خدمة العدل والجمال والحرية والاخلاق ، وتكون بوازع من ضمير مؤمن باحساس المجتمع حين ينزل الى معترك حياتهم فيمتزج بأفكارهم ويتحسس ظلامتهم ويرى احداثهم جزءا منه ، ويشعر ان مشكلاتهم هى محور مشكلاته ٠٠٠

والمجهود الادبى الجيد يبدأ بكلمة تنم عن مخره ، والفكرة تنمو ويتسع مدلولها فتتبلور الى حركة ومن الحركة والتأمل يكون عملا جليلا ٠٠ كدوحة وارفة الظلال تعطى ثمارها كل حين ويأوى الى ظلها المدود من احرقتهم نار الحرمان والتعسف وارهقهم الشقاء والهوان ٠ والكلمة الطيبة تساوى فى قيمتها المعنوية كصدقة او حسنة لانها تهدى ضالا او ترشد جاهلا او تدل على خير ومنفعة ٠

قال الله تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يذكرون » ٠ (سورة ابراهيم ٢٤ ــ ٢٥) ٠

وبعد ، فليس اغرب من ذاك الذى يتمرغ فى نعيم الهوى ، ويرشف ينابيع المجون ويلهب مشاعره الخيال المجنح ٠٠ يأتى ليلقى على مسامعنا اطرافا من حديث الفضيلة والعفاف والواقع والحرمان ٠٠ فهذا والله لا تصل كلماته الى الاعماق ٠٠ بل لا تتعدى سطورها صفح الورق الصقيل ودموع المحابر المسفوحة !

ولا نعجب قطعا حينما تلتقى خصلتان فى نفس اديب او فنان ، يعيش ميسور العيش ويتحدث عن الكرم وعزة النفس والاخذ بأيدى البائسين والمكدودين ٠

ولا نعدو الحق اذا قلنا ان الادب يخدم الانسانية ويدعو الى المثل العليا ويهدف الى السبيل القويم ، ويحارب الظلم والتعسف وينصر الحق والفضيلة٠

فاذا كان الادب الانسانى هو الذى يصون الحقوق المادية والمعنوية ، ويحمى مبادىء الجمال والعدل والحرية ٠٠ فكيف بنا يوما ان نستغنى عن هذا العطاء السخى الذى يتوخى فى مكنونه فكرة انسانية متسامحة عميقة الجذور تسمو كل حين ؟

وهل بامكاننا الاستغناء فى اى وقت عن العدل والرحمة والحرية والجمال والاخلاق ؟

ليست كل النساء كنساء اسبارطة

أينما قامت الحياة انبثق شيىء يسمى الأمة ، وحينما وجدت الأمة اطلت المصلحة العامة برأسها ، وعندما تسنمت المصلحة كانت سببا لانبعاث الحق واتيان الواجب · وحتى ينمو ذاك الحق ويكبر معه الواجب وتأخذ المسئولية حيزاً تترعرع فيه ـ فلا بد أن ترعاه ضمائر لا يفوتها الصدق والأمانة ، ونفوس لا يعتريها الشك والتراجع ·

ومن البديهى لا يقف الحق شامخاً إلا اذا ساندته القوة ·· القوة التى تلجم ألسنة الخوف ، وتفتت حواجز التواكل والخذلان ، وتستأصل شأفة الذل والمهانة ، وعندها فقط لا يكون الواجب مجهولا ، ولا تكون الحقوق إستجداء !

ليس اجهل من أولئك القلة التى تخاف اختلال المبادىء والنظم فى تطبيق القوانين ، ودعم الحقوق ، وتنفيذ مالا يجوز ايقاف سريانه فى الشوارع العامة والمدن الهامة ، وبين جدران المصانع · ولا يرون اختلالها فى الازقة والحوارى وعنابر الموتى ، فهم لا شك فى ذلك واهمون ! إن التاريخ الذى وضع على كاهله مجاميع عظيمة من الحقائق والوقائع ليس باستطاعته يوماً إسقاط جزء من حقوق البشر ، والاحتفاظ لهم بالجزء الباقى ·· على اعتبار أن الحقوق أيا كانت ليست إلا تحصيل عملية يدخل فيها الحذف والانتقاء والاضافة !

ولكن كيف تكون الحقوق مجزأة لدى سائر خلق الله إذا كان العقل والمنطق والخلق الكريم لا يمنعون ظفرهم منها ، سيان كانت هذه الحقوق للذكور أو للأناث ·· اى من الرجال أو النساء ؟

ومن المعروف أن لاتكون هناك فوارق فى الحقوق فى اى وقت مقامة على أساس الجنسين وانما فى عطاء كل جنس وجهده ، ومدى مساهمته الفعلية فى ازدهار الحياة الأسرية والاجتماعية والوطنية والدولية ٠ غير أن هذا الرأى يجد معارضة شديدة فى بعض الأحيان لدى « تلاميذ ارسطو » الذين يعتبرون كل نساء الدنيا كنساء إسبارطة ! بل إن أى تساهل من قبل الرجال لاعطاء المرأة قسطاً من تلك التى تسمى الحقوق الفردية واثبات الذات يعتبر تهاوناً فى حق الانسانية وأي تعامل لأتاحة ثمة فرصة للمرأة القيام توازن بين حياتها كأنثى دائماً ، وكعاملة احيانا ، وكمجاهدة فى بعض الأحيان ـ يعتبر فى نظرهم تصرف يدفع الانسانية لأن تعانى « سقوط اسبارطة جديدة » ، ورأيهم فى ذلك أن (العين لا تعلو على الحاجب) ، بالرغم من مكانة العين بين بقية اجزاء واعضاء الجسم ! ياله من تفكير غريب وتأمل أغرب وياله من انسان عجيب فاذا حدثك عن المرأة أو تناول سيرتها يقول : الله يعزك الحرمة كذا وكذا ، لماذا ، هل المرأة وصلت عنده الى حد النجاسة ؟!

ما الذى يدعوهم للتفكير فى افلاس ذات المرأة من تقدير المسئولية ، وصيانة الواجبات ـ حسبما يزعم البعض ـ وبالتالى تحد اختصاصاتها ؟ ألأنها أنثى ٠٠ وهى دون الرجل ، ولكن أى رجل ؟! يقول استاذنا الجليل الشيخ محمد الغزالى فى مؤلفه (من هنا نعلم) :

« ليس صحيحاً أن الاسلام يعد المرأة (لأنها أنثى) دون الرجل (لأنه ذكر) فرب إمرأة أفضل من رجل ، لأنها ارقى منه عقلا وأسمى خلقاً وأنقى ضميراً ٠ ماقيمة اللحى والشوارب فى وزن النفوس وعظمتها ؟ » ويقول أيضا : « ونسارع الى استدراك لا بد منه ، فليست كل إمرأة من ناحية هذا التكوين الطبيعى أدنى من كل رجل فقد تكون المرأة فى مستوى عقلى ، أو فى طاقة بدنية أعلى من رجال كثيرين » ٠ ولهذا يعتبر قوله تعالى « ولهن

مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » ما هو إلا ترتيب مادى بحت لهذه الدرجة فى الدنيا ٠٠ حيث تكون قيادة الأسرة من نصيب الرجل وله فى هذا الميدان أفضلية ، ولأنه يحمل الجانب الأشق من أعباء الاسرة وله فى هذا فضل توجيه وتنفيذ ٠

ولقد سألنى بعض أصحابى مامعناه : وهو كيف لا ترى المرأة أى ضير فى حياتها حين ينفرد ويتمتع أخوها الرجل بكامل الحقوق ، ويتصرف فيما يختاره ـ بينما تنصرف هى لتنشئة الجيل ورعاية الأسرة ، فى الوقت الذى هى قادرة على تحمل المسئولية التى تفوق تنظيم البيت ، وتنشئة الأسرة ٠٠ فى حين لا تملك هى بيتاً أو أسرة ؟ !

ولاستاذنا الكبير عباس محمود العقاد رأى فى هذا الموضوع : (١)

« وليس من غرضنا فى هذا الكلام على حقوق المرأة ، أن نفصل الأعمال التى تجوز لها فى المجتمع ٠ فانها فيما نرى لا تقبل الاحصاء ، ولاتتشابه فى المجتمعات ، مع اختلاف الزمن وتباين الأحوال وإنما نجتزىء فى كلامنا هنا ببيان حكمة الاختلاف حيث وجد اختلاف الحقوق ٠ فأما الاعمال المباحة للمرأة فهى الأعمال المباحة للرجل بغير تمييز ، وكل ماتحاط به من حدود ، أي تمضى على سواء الفطرة ، فلا تخل بالقوامة الضرورية للمجتمع وللأسرة » ٠

ورغم هذا وذاك ، فان اختنا المرأة سعت جاهدة تأخذ على عاتقها من التبعات ماهى قديرة على تحمله حتى تضطلع به على الوجه الأكمل ٠٠٠

إن المشكلة تكبر وتتفاقم حين يثار الجدل عن تقسيم العمل بين القادرين وغير القادرين فى الحياة ، وحيث يجوز ولا يجوز تحت شعار رسالة البيت تارة والأسرة تارة أخرى ، ورغم هذا لاينتهى النقاش وقد نأتى ونتوصل الى بعض النتائج وقد تكون جادة أو تكون نسبية أو سلبية !

---

(١) المرأة فى القرآن : تأليف عباس محمود العقاد ٠

والسؤال الذى يطرح نفسه هو ٠٠ هل ياترى مطالب الأسرة والبيت منفصلة تماما عن متطلبات المجتمع ، ام انها تشكل جزءا متمما لها ؟ ثم ما وجه الغرابة حين نوافق على عمل المرأة فى بطون الأرياف ومختلف القرى للزراعة والأعمال اليدوية الأخرى كبيع المحاصيل وتوزيعها ، عمل المنسوجات ، صناعة قوالب الآجر والتطبيب ـ بينما يحرم البعض اشتغالها فى المدن للعلاج والتربية والتعليم والبحث الاجتماعى والحياكة واعمال النسيج الأخرى ٠

يقول صاحب كتاب التربية الاسلامية : (١)
« أمن العيب ان تجعل المرأة حية بالعلم قادرة على العمل ؟ هل العار فى العمل والقدرة على كسب العيش من طريق شريف أو فى الاستجداء من الناس والالتجاء الى وسائل غير شريفة ؟ ماذا تستطيع المرأة المسلمة أن تفعل اذا تركت وحولها خمسة أطفال لادخل لهم ولا معين ؟ فيا أيها المسلمون علموا بناتكم ولاتعطلوا نصف الأمة الاسلامية فمحال أن ترقى مادام نصفها الذى يقوم بالتربية المنزلية متعطلا جاهلا لا يعرف عن الحياة شيئا » ٠

نحن فى الواقع لانتذرع قطعا فى هذا باسلوب خاص ، وطريقة تساعد على رواج أى مذهب اجتماعى أو فلسفة سياسية ـ إنما نرى حاجة ماسة فى النظر الى الانسانية بشطريها ، حين نضع فى اعتبارنا تلك الأحاسيس والأهداف المختلفة ٠ وعليه فاننا لانغالى فى مدى هذه أو تلك الأهواء والأمزجة والعواطف حيث أن نظرتنا الى التقدم والازدهار والتدرج فى مختلف اطوار الحياة للتكامل والتوافق ٠٠ لاتتعدى تلك الصور الاخلاقية أو القيم الحيوية ٠

ولقد يتوهم البعض أن انكارنا لتلك « الفوارق الفكرية » عند الرجل والمرأة هو انكار لوجود الاسرة ومكانتها كما تنادى به بعض المذاهب الاجتماعية ، والتى لا يهمها سوى التلهف على ثروة الحياة الأقتصادية أو

---

(١) التربية الاسلامية : تأليف محمد عطيه الابراشى .

غيرها ، والابتعاد فى الوقت ذاته عن القيم الروحية والأدبية ! وهذا ما لم يدر فى خلدنا ابداً ٠٠ بل هناك حقائق لا بد من ذكرها فى هذا المجال :

كيف نقول مثلا أن تحسن النوع الانسانى هو الاكتمال في الصفات ، حين تقتبس المرأة من صفات الرجل ــ وننسى فى الوقت ذاته اختيار الرجل للميزات الجليلة فى المرأة ؟ فاذا كان الطرف الواحد مثلا مرده الى النقص ، فكيف يتحقق الاكتمال فى غياب أحد الطرفين ؟ وإذا كنا فى أى وقت ننفرد عن أخواتنا بدرجة التركيب الجسمانى ، وخصائص الخلق فهل يعنى هذا أن نفوقهن فى كل وقت بدرجة فى التفكير والتدبير ، فى أساليب المعاملة ، وفى وضع الحلول حين تعترض المشاكل مجارى الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ؟

على أن الرجل لم يكن فى جميع الحالات يمتاز عن المرأة بدرجة ــ فهناك التاريخ تزخر جوانحه بالنساء الخالدات اللواتى كن أفضل من رجال كثيرين ٠٠ اذ أن العبرة دائماً فى وزن النفوس وعظمتها وسموها واتجاهها نحو العمل النافع والخلق الكريم ٠

لقد اثبتت المرأة دائماً بجدارة دورها فى شتي الميادين ٠٠ فى الحرب والسلم ، فى النصر والتراجع ، فى الرخاء والشدة وفى الانتقال والتطوير ٠ لكن الرأى تأرجح فترة ما بين الشك والزيف حين تاهت فئة من « التقليديين والمناطقة » فى مجاهل الحقيقة ، وزعموا إن الشريعة والمنطق والتقاليد تتجه بنا فى مسيرتنا نحو هذه المعاملة ! ومنذ متى كانت الشريعة أو العدالة أو المنطق مانعاً يعارض تحقيق مصلحة الأفراد ودور الجماعات ؟

يقول الله تبارك وتعالى :

« انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » ويقول أيضاً
للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما إكتسبن » ٠

ولنأخذ من ذلك مثلا فى حياتنا اليومية حينما نجد أن الشريعة تتيح فرص التعليم للجميع وتعتبره حقا دون استثناء بالحصول على اقساط كبيرة من الثقافات النافعة للقضاء على الأمية بجميع أشكالها ٠٠ لأن في هذا تدرك تماما مدى تلك الأمية العقلية ، والاجتماعية والسياسية والتى تشكل خطراً بالغا ، لا يهدد الذكور فحسب وانما الأناث كذلك !

ولأن التجرد أيضا من تلك المعارف والعلوم والأخلاق هو فى حد ذاته مزلقة للأمة بشطريها الى مهاوى التخلف والأنحلال ، وبعبارة أخرى الزج بالنفوس الى قيعان المآسى والرذائل والهلاك !

ليست هناك ثمة تفاضل بين من يزعمون أن التقاليد تمنع المرأة عن مواصلة التعليم ، أو تعترض على عمل المرأة الذى يبعدها فى نفس الوقت عن ذل المسألة والعوز وتحرم عليها اكثر الحقوق وتعدها للبيت (بل للفراش) ٠٠ وبين من ينادون « بالسادية » حين يدعون أن الاسلام حرمها من الحقوق ومحق إنسانيتها وحقّر منزلتها واستهان بشخصيتها ! إنه زعم باطل ومنطق أهوج فالاسلام رفع من مكانة المرأة وأعطاها من الحقوق مالم تعطها أية شريعة من قبل ، وقد نظم لها أيضا وظيفتها ورسالتها فى المجتمع ٠

واذا كان الدين الحنيف قد جعل لرسالة المرأة فى الحياة خير جلال وقدسية ، فما الذى يوقفها عن الانطلاق لتكريس جهودها ، وتسخير مواهبها والاعتماد على ذاتها مع الحصول على اكبر قسط من العلم والثقافة ٠٠ لتجعل من نفسها ظهيراًومعيناً لشقيقها الرجل ؟ ثم ألم تكن الأعباء والجهود والمشكلات مناصفة فى المجتمع ، وكذا المسئوليات والواجبات والجزاء متعادلة بينهما ؟

ولا جدال فى أن المرأة هى نصف القاعدة الاجتماعية والفكرية ، وأحد شطرى الانسانية ، فلو حكمنا يوما على هذا الشطر بالموت البطىء ماديا وأدبيا وسياسيا واجتماعيا لمات الشطر الآخر ! وكيف لها أن تموت أو تطمس شخصيتها وهى الزوجة الوفية ، والأخت البارة ، والمجاهدة الباسلة ، والأم الرؤوم التى يتربى فى أحضانها وبين ذراعيها رقى وأمن ومستقبل وطنها ؟



طاغور ٠٠ الفنان والمناضل

حتى يرتقي الفنان والشاعر والأديب في اداء رسالاتهم في هذه الحياة ، ويجعلوا من عقل ووجدان الجماهير سكنى لهم قبل أن تحسه الأعين أوتمسه الأيدى ـ عليهم أن يتحلوا بالشمول والموضوعية ، ويتصفوا بالبساطة والتلقائية بعيدا عن الافتعال والتكلف ٠ ذلك أن التكلف والافتعال من شأنهما أن ينحوا الى الصنعة ، وهذا ما لا يجد قبولا ولا تجاوبا مع أذواق وطباع الجماهير ٠.ان المؤمنين بأن الأدب والفن رسالة انسانية سامية لها القدرة على التجديد والابداع والتغيير لا يحق لهم أن يتصوروا أن تلك الرسالات قد يكتب لها البقاء إلا اذا قامت على الأمانة والصدق فكرا وعملا ، وسخرت لخدمة الانسان وعبرت عن قضاياه ، وعكست بجلاء ارادة صموده ودعمت كيانه وقررت مصيره ٠

من الفنانين الذين اتصفوا بالشمول وسعة الافق والبساطة وحب الانسانية والطبيعة هو الشاعر العظيم والمناضل الكبير رابندرانات طاغور ٠٠ الذي ظل محببا وقريبا الى قلوب وأرواح الملايين ، ليس فى بلاده الهند أو الشرق العربي فحسب وانما في العالم بأسره ٠ هذا الحب الذي امتدت جذوره في أعماق الملايين من بني البشر حين قدم للانسانية روحه وثمرة فكره ، وساهم بصدق وأمانة ووضوح حين تجرد من النظرة الفردية الضيقة ، وانطلق الى رحاب الواقع فأهلته مواهبه لأن يحتل المكانة المرموقة بين مجموع الأدباء والمفكرين والفنانين حيث حاز على التقدير والثقة والاعجاب من الجماهير ٠

كان طاغور أول شرقي يضع كنوز الشرق الأدبية ، ويشرح هذه الآداب الشرقية لجمهور الأدب الغربي ، وهو أيضا أول آسيوى ينال جائزة نوبل في

عام ١٩١٣ على مقطوعاته الشعرية التى أبدع فيها ، وعاش مراحل المعاناة وسطر قصة الحزن والحرمان في الحياة ورسم بوضوح ملامحها الانسانية والوطنية والتى كانت فى مقدمة ما نقل الى اللغة الانكليزية ٠

لم تكن المشاعر الفياضة بالنبل والوفاء للانسان في أعماق طاغور والتى انعكست بصراحة وصدق على آثاره الأدبية والفنية الا ايمانا منه بروح الشرق واصالته وعراقته ، واعترافا منه بثقافة الغرب وتقدمه العلمي والفني وفى مقدور أية دولة كوطنه الهند للنهوض بالحياة في مجالاتها المختلفة والسعي حثيثا للحاق بمسيرة التقدم والرقي وعلى سبيل الاستفادة من تلك العلوم بعد دراستها وتقييمها وتجربتها ٠

على أن طاغور كان يستنكر في نفس الوقت تلك التيارات الزائفة والتى تأتي من منابت الغرب واوروبا ويعارض في ماتتمثله من فوضى واباحية وانحلال تجاوز حدود الفضيلة والأخلاق ، وتبدد من طاقات التفاهم ، أو تتفسخ عن القيم والصلات الروحية ــ هذا الى جانب شجبه القاطع لوجود أية سلطة أجنبية غيروطنية تحط من كرامة وسيادة وطنه أو أي وطن آخر في العالم ، أو تستهين بحقوق الأفراد وانتقاص ارادتهم وجهودهم في الحياة بقوانينها الجائرة وأساليبها الملتوية المتطرفة ٠

ونظرة طاغور لشعوب العالم تختلف قطعا في مضمونها ، وتناقض في موقفها عن نظرة الشاعر والقصاص الانكليزى روديارد كيبلينج ، فالاول يرحب بالفكرة التى تجعل الشرق والغرب أمام زيجة أبدية ولقاء دائم متجدد على طريق سليم رائع تمتزج فيه ثقافة الغرب وعلومه بأصالة الشرق وقيمه الروحية حيث يقدسان الواجب والسلام في محراب التقدم ، ثم الانطلاق بالانسانية الى آفاق رحبة تتألق بأعز الأماني والأهداف وتنقشع عنهما غيوم الانانية والحقد ، ويستقبلان فيها قطرات غيث المعرفة والتعاون والتفاهم المشترك ٠

فلسفة طاغور فى الحياة صريحة وبسيطة ، وتعتمد أساسا على حب الطبيعة والانسانية ٠٠ الطبيعة بما يميزها من صفاء وجمال وبساطة والهام وانفتاح ــ والانسانية بما تشمل من تعاون وحب وتضحية وسماحة.

ان موضوع الحب الذى عالجه في كتاباته التى استوحاها من تجاربه الشخصية ، وحياته اليومية حيث أبدعه فنا وشعرا وأدبا ٠٠ كان حبا خالداً لأنه فتح أمام العالم الكثير من نوافذ الأمل والتفاؤل والصمود الطاغي على وجدان الانسان الذى يصطدم كل يوم بالواقع حين يستشعر التحدى ، وكان حبا أصيلا لانه خال من التعقيد والافتراض ٠ لم تكن نفسيته حافلة بعوالم التخيلات والرومانسية كما سعى اليها بعض أدباء وشعراء الغرب أمثال هوغو ودى موسه ولامارتين ، وانما كان ينظر الى الأحداث والوقائع فيقيّمها بالنظرة الفاحصة التى تنبعث بالمعاناة ومجابهة الواقع ٠ ان الرومانسية اشبه ما تكون عنده بغذاء معين يفقد قيمته المعنوية المفتقرة الى معظم العناصر فى الحياة ، وأما الغذاء الدسم فهو التمحيص والواقعية التى مصدرها النفس الوجدانية ٠

ونستطيع القول بأن شخصية طاغور لها عوامل عديدة دعمتها واستمدت منها الصلابة والاستقامة ، وسقت من ينابيعها الوعي والمعرفة حين ترعرع في أسرة عريقة تمتاز بالعلم والثراء والثقافة ، وفي بيت يقدس أهله الأدب والشعر والغناء والموسيقى ٠ فنراه مثلا يواطن النضال منذ صباه ، ويحاول انتزاع الحرية حين يقاوم بشدة سيطرة الخدم حين حظروا عليه الخروج ، وحددوا تنقلاته خلف جدران المنزل المنيف الواقع في حي « جورا سانكو » من مدينة كلكتا بعد توكيل أمره للخدم ــ بسبب مرض أمه وكثرة أسفار أبيه السيد « ديفندرانات طاغور » خارج وطنه نظرا لما تتطلبه أعماله

وفى ظل هذه الظروف التى عاشها وهذا الأسلوب للرعاية من قبل الخدم فقد الصبي الكثير من حنان الأمومة ، وعطف الأبوة اللذان كان ينشدهما ٠ لقد نما في نفسه الحنين والنزوع الى الحرية والتعبير عن الرأى ، فلا عجب أن



الدكتور رابندرانات طاغور

نرى بعض فترات شبابه بمثابة عصيان وتمرد داخل أسوار المنزل وخلف جدران المدرسة ٠

كان يجد في الطبيعة الانفتاح والانطلاق ، وخير ملهم للتأمل وأفضل معين له في وحدته واجلاء أحزانه وهمومه بعد فقد أمه حبيبة قلبه وشعلة تفكيره وهو في سن مبكرة عام ١٨٧٥ م ٠ ومنذ تلك اللحظات الحزينة التى طرأت على حياته كبرت في نفسه معنى الحرية وتجسدت صورة الصمود ومجابهة التحدى ، فمع مدارج حياته ونموه الجسدى والمعنوى تعمق هذا المعنى ٠ وعلى أثر هذه التجارب كان لابد له ان يجابه الواقع بصراحة وشجاعة ولهذا ودع الأحزان واليأس وبدأ رحلة الحياة من جديد بكل ايمان وتفاؤل وصبر على النوائب ، وتحمل لصروف الدهر وانشغال بأشياء تبعده عن دنيا الهواجس ٠

وجد طاغور ضالته المنشودة حين عثر على الكنز الذى لا يقدر بثمن ، الا وهو كنز المعرفة ٠٠ فمن خلال قراءاته وتذوقه للآداب الهندية القديمة وما تحملها من تراث انساني خالد ٠ ومن ضمن المجموعة الأدبية التى عكف عليها هي الملحمتان الشهيرتان « الرامايانا » و « المهابارتا » المدونتاون بنصهما السنسكريتي (١) وانبرى طاغور في البحث وضاعف جهوده للاطلاع على الآداب الهندية من خلال المخطوطات والكتب التى كان يقتنيها آنذاك والده في مكتبة المنزل ٠ لكن حب الاستطلاع لديه كان يتجدد ويقوى حين يشارك في الجلسات التى يعقدها والده في منزلهم مع بعض الأدباء والشعراء وغيرهم من ذوى الميول الفكرية والفنية ٠ هذا المنهج الايجابي لحياته وبالاضافة الى الرعاية التى منحت له من قبل المدرسين الذين اعتادوا الحضور الى منزلهم ــ كفيل في حد ذاته بتوفير التهذيب والثقافة لمن يعيش في مثل ظروفه ٠

---

(١) اللغة المهذبة ٠

وقد يحدث ان البيئة الثرية فى وقت ما تخلق عند الابن نوعا من الكسل والخمول أو التنصل من بعض المسؤوليات التى تفرضها الظروف ، الا ان الوضع كان خلافا لذلك عند طاغور ٠٠ فبالرغم من يسره وثراه كانت تكمن لديه حاسة ادراك الألم والحزن على الفقراء من ابناء الشعب الذين يلاقون غضاضة الحياة ، ويواجهون شقاوة العيش ، ويحتسون كؤوس مختلفة من البؤس والحرمان والاهانة مقابل الحصول على لقيمات العيش ، أو الوقوف فى ساحة العلم أو السؤال عن حقوقهم المشروعة ٠ لم يأخذه قط الاستعلاء أو النفور فى مشاركته الفعلية لأخوانه البؤساء ، بل كان يحبب النزول اليهم والتعرف على مشاكلهم وطرق أبواب أمانيهم وتطلعاتهم الى الحياة الحرة الكريمة ٠

ومن جهة أخرى نجد أن المال المتيسر لديه كان حافزا له على السفر وعلى وجه الخصوص انسان مثله أوتي الموهبة وحسن الادراك ، فنتيجة لاهتمامه العظيم للوقوف على الحركة الفكرية والأدبية فى العالم ، قرر السفر الى الخارج دون تردد فاستغرقت رحلاته زهاء ثلاث سنوات تنقل خلالها فى بعض دول العالم كمصر وأمريكا واليابان ، وأما سفره الى انكلترا لمدة سنة ونصف فكان من أجل التحصيل والاستزادة من العلوم والآداب مع عنايته الفائقة بدراسة الموسيقى الى جانب شوقه المتزايد للتعرف على آداب شكسبير والحقيقة التى لا يمكن الاغفال عنها هي أن تلك الرحلات اكسبته أنواعا من الخبرات والتجارب ، فاستطلع عن طريقها على نواحي متعددة من التقدم الثقافي والاجتماعي والفني لدى تلك الشعوب ٠

أما شغفه الشديد بالغناء والموسيقى فجاء نتيجة لملازمته الطويلة لأخيه العازف « جيوتي » ، ومشاركته فى تلك التمثيليات التى اعتادت أسرة آل طاغور ان تحييها وبمشاطرة من أقاربهم وجيرانهم في الأمسيات ٠ لذا نجد ان مواهبه تفتحت فجادت قريحته بعد ذلك ، وما كان منه الا ان اتجه الى

تأليف المسرحيات الغنائية ، وكما ظهر فى مسرحية « القلب الكسير » ثم القصائد الغنائية والتى جاوزت الالف وخمسمائة أغنية كتب لها الخلود ولا تزال تتردد كلماتها على ألسنة الجماهير الهندية وفى مناسبات متعددة ٠ ولا نعدو الحق اذا قلنا انه ليس باستطاعة فرد من الأفراد كي يصبح فنانا أو أديبا أو شاعرا اذا لم تكن لديه مسبقا موهبة عقلية واستعداد فردى للاستيعاب الكامن فى أعماقه ٠ كذلك هناك شيء يجب ان نراعيه وهو ان الادب الرفيع والفن الجيد يحتاجان من صاحبيهما الى نوع من التفرغ والتهييء والصقل بعيدا عن تقاليد العمل اليومي ، أو الدخول في صراع مع تفاصيل الحياة الأخرى التى تزجهما بعيدا عن الجو الفني والأدبي وعدم تحقيق ما يهدف اليه ٠

ان حياة طاغور في الواقع كانت حافلة بروائع الأدب والفن ، فالى جانب تأليفه الأغاني هناك الكثير من المؤلفات التى تضمنت قصص البطولة والفداء ، والرسم ، والشعر الذى نقل معظمه الى اكثر من لغة فى العالم ٠ ومن أشهر دواوينه المشبعة بروح الوطنية والتدين والفلسفة والاعتزاز بالنفس هو ــ ديوان الذكريات ، قطاف الثمار ، الهلال ، أغاني المساء ، أغاني الصباح ، قربان الشعر ، رسوم وأناشيد والسهل والحزن ٠ ومن مسرحياته ــ البيت والعالم ، انتقام الطبيعة والقلب الكسير ٠

ويخطىء اولئك المغرضون المتوهمون من وطنية طاغور ، ودوره الايجابي فى مناهضة قوى الاحتلال الأجنبي فلم يكن طاغور في حياته يأخذ الجانب السلبي فى أية قضية من قضايا وطنه ٠ لم يتردد قط أن يعلن رأيه بصراحة وجلاء ومعارضته للقوى الدخيلة بشتى صورها ، مما أوجد فى نفوس الهنود رد فعل شديد حملهم على الاندفاع لمقاومة الاحتلال بكل تفان وحماسة ٠٠ لكن طاغور كانت مواقفه تتسم بالمعارضة مع زميله في النضال غاندي أحيانا ٠٠٠

فبالرغم من أن غاندي كان زعيما لحركة وطنية تحاول أن تقف على قدميها بقوة وحزم لتنتصر رغم التحديات حيث يسندها فى ذلك التيار الشعبي للحركة الشاملة المنطلقة من أعماق وأمانى الجماهير الهندية ودون ـ استثناء ٠ كان يقف طاغور موقف المعارض لفكرة عدم الاستفادة من خبرات الغرب وتجاربه العلمية والعملية لذا أبدى معارضته الشديدة من بعض أنصار غاندي عندما قاموا بحرق المكتبات التى تضم العديد من المؤلفات الفنية والمصنفات العلمية والأدبية الغربية ٠ فطاغور مثلا مع ايمانه العميق بأن مقاطعة المستعمرين عمل ايجابي ٠٠ فانه لا يرى هناك مجالا لمقاطعة علومهم وفنونهم ٠٠ حين يصرح من أن هناك فرقا شاسعا بين رفض الشعب للسلطة الاجنبية وسيطرته الاقتصادية والعسكرية ، وبين ما توصل اليه الغرب من تقدم وتطور فى حقل العلوم والفنون والاختراع فعلى المجتمع القيام بالدراسة المستفيضة والتقييم والاستفادة بعد ذلك ٠

ولا بأس أن نستطرد قليلا هنا لنرى مواقفه ولنتذكر الكفاح الذى خاضه فى حياته ، فقد كان يمتاز بالاحساس الصادق بمشكلة الوطن وبالثقة المطلقة فى عدالة قضيته ٠ أبدى طاغور تفهما لتلك القضايا العادلة والتى تتطلب القضاء على البطالة والفقر والجهل والمرض ـ تلك هي عوامل خلقها الاحتلال والحفنة من المستغلين الذين لا هم لهم الا الثراء الفاحش واضعاف الروح المعنوية والصمود الوطني وخفض المستوى الفكري ٠

ظل طاغور نصيرا للشعوب المتطلعة الى الاستقرار والأمن ، المتشوقة الى البناء والنهضة والآملة فى الحرية والكرامة وفى مقدمتهم أبناء وطنه ٠٠ وطنه الذى امتزج كيانه بكل ذرة من ذرات ترابه ٠ اننا لا نجهل رفضه للقب السير الفخرى الذى منح له فى وقت وجد كتائب الجوع تفتك بالهامات المحنية الهزيلة ، ويرى أقدام الاهانة والسخرية تطأ جباه العاطلين ، وينظر أيدى الغدر والاثم تخنق أصوات المطالبين بأبسط حقوق الانسان ٠

ومن الطبيعي أن اسرته كانت تؤيد كل حركة وطنية شريفة تنادى بالاستقلال ، فلو رجعنا الى تاريخ حياة أسرته لألفينا أن جده ووالده كانا من زعماء الحركة الوطنية ، وأخوه الأكبر كان صاحب صحيفة « المعرفة » والتى سلكت التيار القومي المناهض للاحتلال الأجنبي ، وأخوه الآخر يملك مؤسسة وطنية تساهم فى الرأسمال الوطنى ، وهكذا تضافرت جهود المفكرين أمثاله بصدق وأمانة على العمل فى سبيل ايقاظ الشعب الهندى من سباته العميق ، وجعله يشعر بأن له كيانا خاصا ، وقومية خاصة ٠

لقد عاش طاغور شاعر الهند العظيم وبين جنبيه تلك القوة الروحية الضخمة ، والحماس الهادىء الواثق من المستقبل ، والصلابة الصادقة الخالية من القلق والاضطراب ٠ عاش وهو يناضل من أجل الانسانية والمحبة ، وترك روائعه غراسا فى جنان الأدب ، وخلف بصماته واضحة على جبين الفن ــ بعد أن فاض حبر قلبه ونزف دم المعاناة وهو يخط كلماته الصادقة فكانت انشودة خالدة تترنم على شفاه الزمن ، وسلاحا قويا يدافع عن الحق والوطن ٠



العمل ·· ومشكلة العصر

لم يكن العمل فى أى وقت إلا سبيلا لتحرير النفس من ذل السؤال ، وخنوع الحاجة والاعتماد على الآخرين ، وتطهيراً لها من النوازع الفاسدة مما يشعرها بأن الانسان له هدف يسعى لتحقيقه فى مجتمعه الذى يعيش فى ثناياه · والعمل بطبيعته متعة للنفس البشرية لاغناء عنها ــ رغم أن ثمرته تخلق للفرد ضروبا من النشاط والجذل والمنفعة حين يصرفه هذا العمل عن معظم الشرور والمفاسد ، ويجنبه تتبع سلوك الآخرين أو حقده عليهم الى جانب شعوره بالاطمئنان والارتياح بعد ما يلقى جزاء ماعمله وافيا· إذن فالعمل فى النهاية وصول بالمرء الى الاستقلال القويم بهذا الحق والواجب سيان كان هذا العمل فرديا أو جماعياً·

لا أحد يدرك تماماً الفترة الزمنية التى استحوذت على الأمم السابقة فكرة تصنيف الأعمال وقد تكون شائعة علقت بافكار الرومان واليونان ردحاً من الزمن ، ثم اصبحت بعدها حقيقة تداعب افكارهم ، وما يهمنا هنا أن تلك الحضارات القديمة كانت تصنف العمل وتقسمه فى الواقع الى شطرين عمل سام وآخر وضيع أو عمل نظرى يتعلق بالفكر ، وآخر يدوى مهنى يشمل الحرف اليدوية وغيرها من المهن الأخرى ·

العلماء والعمال : وبناء على ذلك الادعاء الذى يخلو من المنطق السليم ، ظهرت تلك الافضلية فى الأفعال ، وكانت بمثابة تمييز لاصحاب الفكر كالعلماء والحكماء والكهنة على ارباب الحرف كالصناع والزراع والعمال · وبالرغم من أن هذه النظرية الموغلة فى القدم لم تقم على أساس سليم وانما تذكى جذوة الفوارق الطبقية اينما وجدت ·· راح ارسطو الفيلسوف اليونانى يصوغ نظريته التى قسّم فيها البشر وصنفهم حسب نوعية العمل ، فقال أن العمل نوعان : نوع نظرى وآخر يدوى ، فالأول يمتاز بعلو المرتبة وسمو الجاه ويقوم به عادة النبلاء والاشراف · أما العمل الثانى فيمتاز بدنو المرتبة ويقوم به طبقة العمال والفلاحين وطبقة العبيد والجنسيات الأخرى التى لا حول لها ولا طول ·

وفكرة التفرقة فى العمل دخلت الشرق العربى والاسلامى فى القرن السادس الهجرى عن طريق الفلسفة اليونانية ، وأحد المتقولين بهذا المبدأ هو الفيلسوف العربى ابن رشد حين اكب فى تعليل نظرية ارسطو وقسم فيها الناس الى قسمين ! يقول ابن رشد :أن هناك فئة هى أهل البرهان وهم الذين يحق لهم تأويل كتاب الله أو غيره وفهمه فلسفيا ٠٠ وهناك الفئة الثانية وهم الجمهور ، الذين عليهم الأخذ بظواهر الأمور ، ولا حق لهم تأويل الكتاب ، أو حق التصرف فى ابداء الرأى أو الاجتهاد !

ويمرور الزمن وتقدم العهد راق للبعض تمجيد هذه الفكرة فاتخذوها ذريعة للتسلط حين إنبروا آنذاك يقسمون المهن وأخذت تطفو على السطح فكرة الفوارق الطبقية فانقلبت بذلك المفاهيم ! ومن البديهى حين تولى الاسلام زمام الامور وسطعت شمسه على جميع ارجاء المعمورة فى بداية عهده ٠٠ وجد أمامناظريه تلك النظرية البغيضة فاستنكرها ، وأيد تحرير الانسانية من كل قيد ، وأزال الحواجز الطبقية ، فشرع للفرد الحرية فى الرأي والعقيدة والفكر٠

تحرير الانسان : لهذا نجد أن الشريعة الاسلامية حررت المرء من عبوديته لنفسه أو لسادته فكان أمضى سبيل وأنبل هدف لهذا التحرير والتطهير هو المساواة بين بنى البشر ٠٠ بين الانسان المفكر والانسان العامل ، ثم رفع بدوره قيمة الأفعال من حيث مشروعيتها ٠ ونرى الاسلام هنا ينادى بشرعية العمل النافع الفاضل والمتقن والجيّد ويستنكر الاعمال الضارة بالأمة والفرد معاً ٠

ولا نشذ عن الحقيقة اذا قلنا أن شريعة العدل والرحمة والاخاء لم تكن تؤكد أو تتصور فى أى وقت تلك الاسطورة البغيضة فرفضتها من أساسها ، وتجردت من البدعة التى رافقت تلك الحضارات ردحا من الزمن ٠

ونرى الاسلام فى هذا أيضا يشرّع العمل من حيث النفع وسيان عنده إن كان العمل نظرياً أو يدوياً أو فقهياً ·· بل أن اكثر همه انتشال الفرد دون استثناء من غل الحاجة وذل السؤال وشبح الفاقة ، وهو بعد هذا كله مراعياً الافضلية فى مدى نفعه للناس ، وشارعاً فرص وجوبه ، ومتيقناً فى كل وقت انه لا تحقير للاعمال اليدوية ولارفعة أيضاً للعمل النظرى ، وانما لكل مجاله ومؤهلاته الخاصة به ·

ونظرة تأمل الى شريعة الله ·· شريعة العدل ·· نجد إنها تتبع حكما وسطاً وواقعية ، فيها مرونة تواجه مشاكل الحياة وصوائبها وحاجة الفرد وتطلعاته فلا تهرب الى عالم آخر حيث المادية المطبقة أو الأنانية المطلقة ! ونظرة عجلى نستشف من خلالها بواطن الأمور لتقودنا الى تخوم الحقيقة الناصعة ــ فلا هى مغالاة فى الاقبال على الدنيا والاندفاع فى جمع الاموال وتكديسها من حيث وجدت وأيا كان مصدرها ، ولا أيضاً دعوة للناس الى كف الحاجة والتواكل والتعبد فقط والقعود عن طلب الرزق ·

ومما يجدر ذكره أن العدالة وماتحمله من معنى فى أية فترة من فترات الزمن تحث دائماً على طلب الرزق والسعي فى مناكب الحياة عن طريق الكسب الحلال ·· أى ما ليس فيه باعث بتحقير الشخصية ودنو المنزلة أو تخديش لكرامة الانسان ! إن المنطق يأبى أيضاً فى هذا المجال أن يعيش الفرد عالة على مجتمعه كما تعيش الطفيليّات فى ثنايا الوجود !

كذلك لسنا هنا بصدد الأفضلية فى نوعية العمل هذا أو ذاك ، فالواقع يؤيد أن كل دأب وجهد يبذل لكسب الرزق هو طريق يؤدى الى السعادة والاستقلال الذاتى والابتعاد عن ذل المسألة · هناك الكثير من الأمثلة الجليلة فى تاريخنا النابض بالحياة ما ترمز الى فضل السعي وطلب القوت ولا شيء يودى بشرف المهنة ، هناك مثلا بعض الخلفاء وأئمة العلم ورجالات الاسلام قضوا سابق عهدهم وجل أعمارهم يمارسون التجارة ونسخ الكتب ورعى الغنم وقطع الاخشاب وصنع الدروع الى غير ذلك من المهن المختلفة ·

كان رجال العلم والفقهمن اهل الورع والعفاف يعيشون من كسب أيديهم وتأبى نفوسهم الكريمة أخذ المال عل هيئة عطايا وهبات مهما كان مصدره ، ولأنهم يرون بعدم شرعية هذه الاموال وامتلاكها بغير أدنى نصيب من الجهد ، والعرق ٠٠ كانوا يرون أن تركه لذوى الحاجة والعجزة اوالفقراء الذين لادخل لهم ولا عمل ، ولا مصدر للرزق ـ وهم فى هذا أحق به من غيرهم ٠

عوامل مكملة : والحقيقة التى لا تغيب عن ذهن أحد هى ان الحرية المعقولة فى العمل ، والتفانى فيه ثم الاستعانة بالعلم والخبرات والمثابرة والصبر الى مايعوق سير العمل وتحمّل الصعاب كلها عوامل مكملة لبعضها البعض. وعلى سبيل المثال لا الحصر نقول: أن العلم والمثابرة مثلا لا يجديان نفعاً فى عمل لا يصحبهما إخلاص وامانة فيهما ، كما أن الحرية المعقولة فى العمل هي دافع كريم للاتقان والرصانة ـ انطلاقاً من مبدأ أن الانسان العامل ليس هو كتلك الآلة الصماء حتى يساق الى العمل قسراً ودون رغبة أو ارادة ، ولأن هذا إخلال بمكانة وقيمة الفرد الذى يعتبر بمثابة جزء مكمل للمجتمع ! ولاريب أيضاً أن الاهمال والتخلف يعوقان مسيرة العمل الجادة ، خصوصاً اذا لم يكن هناك مجال للمتعلم الواعى الذى يدرك تماماً ما يعنى الوقت والجهد بالنسبة لاستمرارية العمل ٠٠٠

ولا جدال فان التحول العلمى الحديث الذى بدأ يطرأ على العالم قد بدد كثيراً من ضباب التأخر والانعزالية والتخلف بدفعة الحياة الى رحاب الانطلاق فى الانتاج ، والتحرر من الاستغلال ، والمعرفة للمساهمة فى شتى مجالات الصناعة ٠ وكان من نتيجة ذلك التحول هو أن ارتفعت معنويات العمل والعامل معاً وزاد الانتاج ، وبزيادة الانتاج إرتقى مستوى الدخل منه فازدهرت وأرتقت معالم حياة العاملين حيث حققت لهم الرفاهية والتقدم ٠٠ بل وأتاحت لهم فرصة تطوير الأنتاج بما يواكب العصر ، ويعطى الحياة دفعة قوية الى الأمام ٠

وهناك حقيقة لا مراء فيها ، وطالما طرحت على بساط البحث واشبعت عرضا وتحليلا وهى انه إذا كان العامل المواطن يقع عليه عبء العمل ، والخدمة لهذا الوطن أو ذاك باعتباره العضو الفعال فى جسم المجتمع ٠٠ فالعمل أيضا حق وواجب لكل مواطن فيتحتم على المجتمع ٠٠ أى الوطن ـ لأن يضمن هذا الحق ويكفل هذ الواجب من حيث شرعية العمل الذى يتناسب مع ميول الفرد ، بل ويعطيه الفرصة لعرض خبراته ورفع كفاءته الانتاجية ٠

من هذا المنطلق نحاول أن ندرك عميقا ، أن العمل هو الوصول الى الاستقلال القويم للفرد والأمة فى ربوع الحياة ، والمجتمع بدوره يسعى جادا للتقليل من وطأة البطالة خصوصا فى البلدان النامية والمتقدمة ، وهذا يوصلنا الى تخفيف حدة الايدى المعطلة على القيام بالعمل النافع والبناء فى أية بقعة من العالم ٠

وهناك حقيقة أخرى لا يجب الاغفال عنها وهى ٠٠ أن المنفعة التى يقصد منها تقدم الوطن لن تسمو ، ولن تؤدى فاعليتها الا اذا قام جميع المواطنين بالعمل المنتج وحده ، مع العلم مسبقا أن زيادة الانتاج بسبب تواجد العمال توحى للجميع القدرة على الاستهلاك ، وارتفاع مستوى المعيشة وتمكين الافراد من سد حاجاتهم مهما كان البلد صغيرا أو كبيرا ٠ كما لم يعد هناك شك فى أن البطالة مبعثها الخلل الموجود فى ميزان توزيع الارزاق ، وتقسيم الأعمال ، وتقدير المكافآت ـ وهذا معناه ـ قلة الانتاج وتدهور الاحوال ، وأخيرا معناه الاجحاف بالعدالة وبعث روح الحرمان والشقاء لدى المجتمع٠

إن الوطن مهما صغر حجمه أو كبر هو مسئول فى الحقيقة أن يشرف بنفسه بشكل يجعل جميع الضرورات هى الحافز الأول للعمل ؛ وبحيث لا تتعارض مصلحة فرد فى الوطن مع المصالح الأخرى للأفراد ٠ كذلك فان

عدم التهرب من المسئولية وذلك بوضع الحلول الملائمة بعد الدراسة والتخطيط كل فى مجال اختصاصه لهو شيء يجدر قوله هنا ٠

ولا يخفى على كل ذى بصيرة أن البطالة فى عصرنا الحاضر هى مشكلة ، وأولى بنا أن نفهم فهما عميقا أن المشكلة ليست اجتماعية فحسب ، بل هى مشكلة اقتصادية وخلقية وسياسية ، وفوق هذا كله مشكلة حق وواجب ترعاه جميع الأمم ٠



عبدالناصر ·· والتاريخ

[لاريب فى ان عبدالناصر ، من الرجال الذين حولوا مجرى التاريخ ··]
ـ نهرو ـ

مثلما تترك الحوادث آثار بالغة الاهمية والخطورة فى حياة الافراد والاجيال والدول حين نكشف النقاب عن الحقيقة المجردة ، وتخط عبارات المحاسن والمآسى ـ كذلك الافراد فانهم قادرون على ان يؤثروا فى صنع الاحداث ويسهموا فى عمالها ·· بل يهيئوا الظروف لتحويل مجراها اذا ما تحملو اعباء المسئولية ، وامتلكوا القدرة والارادة على اتخاذ القرارات الحاسمة فيما تنطوى عليه حياتهم واذلال ما يعوق نهوضهم من مشكلات ـ ليس بالحديث المنمق او التيه فى خضم الامانى ، وانما بالادوار الفعالة والاستجابة لشتى وجوه التحدى التى تصطدم بها كرامتهم واهدافهم فى كل آونة ·

من ابرز الشخصيات التى ساهمت فى صنع الاحداث ، بل وغيرت مجرى التاريخ الانسانى هى شخصية الراحل الذى لم يرحل ـ عبدالناصر ـ حيث تجلت فى ملامحها احدى الميزات وهى امتلاك القدرة والتأمل والصراحة على الربط بين الماضى والحاضر ·

لقد كان فى حياته رفيقا صدوقا للتاريخ ، فعاش التاريخ فى وجدانه واحساسه ، وحين يتصرف فى امر من الامور يغمره شعور بوجود التاريخ لانه يمنحه القوة فى الحاضر والحياة للمستقبل ·

كان عبدالناصر عصارة تلك الشخصية العربية التى نبتت وترعرعت وانصهرت فى بيئة الفلاح الاصيل الذى امتزجت حبات عرقه بثرى ارض مصر الطيبة ذات التاريخ العريق الذى احتضنه ورعاه نيلها الخالد على مر

العصور ٠٠ هو من تلك السلالة العربية التى فرضت وجودها على مرأى ومسمع الزمن بفضل جلال روحانيته وعمق ايمانه وشرف نضاله ، فأمسى صورة معبرة من صور الكفاح والطموح والايمان بالعدالة والوطن والانسانية ٠

كان فى فجر حياته يرى الالتفات الى الماضى عونا له لاجتياز الحاضر وزادا له للاستمرار على طريق المستقبل ، لذا لم يتوان عبدالناصر عن التطلع على قصص كفاح الشعوب ليتخذ منها العبرة والفطنة ٠٠ هذه القصص اعتبرها القائد لبنات جديدة ومتينة تزيد صرح الحياة عزة وشموخاً ٠

ان فكرة دراسة الماضى وتأمله تجلت له عطاء جزيلا وخيرًا لفهم الاوضاع ٠٠ آمال وآلام الجماهير ! فلهذا آمن انه لاحياة الا اذا تحققت لجميع الافراد الكرامة ، الرخاء ، الامن ، العمل ، وتمكنوا من مزاولة حرياتهم السياسية والاجتماعية والدينية على الصورة المثلى ـ وحين يتم هذا عن طريق التصدى لاصحاب المصالح الشخصية والنزعات الفردية التى أضعفت قوى الامة وزعزعت كيانها ٠

فى الفترة التى عاشها الرائد العظيم كانت روحه تصطلى فيها بلهيب الحيرة فيصقلها وهج الحق والوطنية والايمان والاقدام ٠٠ كان عقله الراجح يدرك ويميز الحقائق والحوادث ويضع مقياسا لها ـ فلا تهزه بعد ذلك العاطفة الجياشة ليحيد عن ناصية الحكمة ، ولا يثبت فى اى منها تحت تأثيرات طارئة حتى لا يقع يوما صريع الحماس ، ولا تطغى على نفسه موجات العنف والصلف لتدفعه نشوة الانتصار للانتقام ٠٠ بل لاتتردى روحه لحظة فى قاع اليأس حين يتذوق فيها مرارة الهزيمة !

كان يرفض فى كل وقت لان يصبح كتجار الوطنية والمغامرين على المناصب بالاهداف السامية حين ينقلبون "صرعى المصالح الفردية" يوم لا تملك دخائلهم اى معنى للمبادىء والحقوق !



الرئيس الراحل جمال عبد الناصر

اذن لم يكون عبدالناصر هو اول رجل فى التاريخ يقول رأيا فى حرية وصراحة ويمضى ٠٠ لكنه قال وعمل ودافع حتى اللحظات الاخيرة عن هذه الافكار بسلاح الايمان وقوة العزيمة بعد ان اختمرت تلك الافكار بين جوانحه طويلا . لهذا نجد ان الابطال والعظماء الذين صنعوا البطولات ومنهم عبدالناصر ، كان ذلك بجهدهم المتواصل ومشاركتهم الفعليـة للجماهير ٠٠ انهم بذلوا العرق والحرمان والاصرار من اجل كرامة الانسان وحريته ٠

ولقد عاشت فى الماضى البيئة العربية امة لاتعى كنه الاباطيل التى تنتثر من حولها ، او ربما عاشت ولم تدرك مدى خطورة تلك الاقوال التى رددتها الابواق الاجنبية ــ ليس لشىء وانما لمصلحتها التى لا تقف عند حد ٠

فى الواقع كانت هذه المنطقة تترقب بشوق بالغ الى القائد الذى يقوم بالدور ويحقق احلام امته ويلبى مشاعرها التى ظلت حبيسة الضمائر عصورا طويلة بوازع الكبت والحرمان والفناء الذى لاقته فى ظل الاحكام الجائرة ٠ كانت الامة فى حاجة الى المعلم الذى يصحح تلك الاخطاء التاريخية الشائعة التى ماانفك الغاصبون يطلقونها آنذاك !

كانت الامة العربية آنذاك تحتاج الى الانسان العظيم الذى تتجسد فيه امانيها ويحمل عنها العبء الاوفر ويفتح الطريق للطامحين فى المجد ٠٠ مجد تحرير الاوطان من قسوة الظلم الاجتماعى واهوال التعسف السياسى ٠

وهذا ماتم عن نتاج الارادة ونعمت المنطقة فى وقت من الاوقات برائد عظيم كان رمزا جليا للصمود والايمان ٠٠ ايمانه بالعروبة والوطن والعدل والانسانية فحوّل الاحداث بجهده المتواصل طيلة ثمانية عشر عام من تاريخ مصر والعروبة ومع هذا لم تنل الاحداث من عزيمته الصلبة وايمانه الراسخ واصراره العظيم ٠

من امضى الخطوات التى اتخذها عبدالناصر هو الاعتراف بحق العامل الذى وجد آثار الثورة على ساعديه والفلاح الذى نفض غبار اليأس عن جبينه يوم اديا دورهما الايجابى فى حياتهما القومية فكان صدرور القوانين التى حمت حقوقهم وقضت على المشاكل الداخلية ووضعت الحلول الكفيلة بأصدار اللوائح والتنظيمات ، واجه التحديات وتمت المنجزات الضخمة فى عهده من التصنيع والبناء ورفع مستوى التعليم ومجانيته والتى تتطلب الجهد والوقت و المال ، وقضى على الاحتكار بجميع صوره بما فيها اعادة بناء القوات المسلحة اخيراً وهو بهذا واضعاً فى الاعتبار كل تطورات الحياة وحاجتها (الملحّة)

لقد عاش القائد قريبا من آلام امته وامانيها لم يكن منعزلا او غريباً عن مشاعرها ٠٠كان محققاً لنهضة ورفعة وطنه العربى الكبير ورافضاً فى نفس الوقت اى مجد.فردي وكل طريق ميسور يتنافى مع المثل والمبادئ الانسانية فكانت اهدافه هى التى اراد لها ان تدوم والتى غالبا ما تكون الحافز للثورات فى التاريخ الانسانى ولهذا نجده قد ناقض غيره من السفاحين وأدعياء السياسة !!

كان ينظر الى المستقبل ولا يتجاوز الحقائق حين رأى ان على امته الذي يمتد وطنها العربى التاريخي من المحيط الى الخليج دور فعال فى هذه المنطقة العربية التى ارتبطت اواصر تاريخها ، وتلاقت فى رحاب نضالها المصيرى اهدافها وتعالت نداءات الفكر داعية لان تؤدى دورها بايجابية وتعمل على تنظيمها الوطنى الشامل فى صيغته النضالية الصريحة ٠ فلا بد للامة الواحدة ان تفهم بعمق ودراية كل وضع تساهم فيه بما تمتلك من قدرات مادية ومعنوية وبشرية ان تتجرد عن كل نظرة اقليمية ضيقة باعتبار ان وحدة الفكر نابعة من لغتها الواحدة ، ووحدة الضمير مستوحاة من تاريخها الواحد ٠

ان شخصية عبدالناصر الفذة آمنت من اعماقها بأهمية التاريخ ودوره الجاد فى تحليل الاحداث وعايشت كل لحظة من لحظاته ٠ من هنا نجد ان ثورته نبعت من كيان صاحبها وتغذت من روحه فخلفت بصماتها الحتمية على جبين التارخ ٠٠ عندما يؤكد عميقا "بعدم وقوف الثورة او جمودها ولكن استكمال الطريق والانطلاق ، وعدم الخمول او التخاذل ولكن البناء والتصميم والدفاع عن الحرية والكرامة والارض حتى يتحقق النصر ٠

ولم تكن هذه الذكرى الثامنة الا فترة اقتطعت من عمر الزمن اما حياة الرائد العظيم فستظل ملحمة رائعة للاجيال القادمة وستعيش مابقى هذا النضال الانسانى العادل ضد العدوان والتخلف ولأنها كانت أنبل حياة ٠٠ كانت عطاء وبذلا سخيا للملايين التى أحبته ، فكان حبا يشهد له التاريخ والانسانية .



بالحب ·· نصنع المعجزات

بالحب نبنى ، نشيد ، نصنع مجتمعا أفضل ، بالحب ننشر الفضيلة ، والأمن ، وبالحب نخلق التكافل والتراحم ، وبالحب نزيح عن الانسانية المعذبة وجهها القبيح ·

المحبة ظاهرة إنسانية خلقت مع الانسان وستبقى معه مدى مابقى ، وهى المدخل السليم للعلاقات الانسانية وخاصة الحياة الزوجية ـ حيث تشكل جزءاً من أغراضه النبيلة ، ورغباته الجليلة بما لها من آثار حسان فى ميل الفرد فى هذه الحياة ·

لقد وجدت العواطف بشتى ألوانها وتكوينها منذ وجد الانسان فى هذا الكون المعمور ، ولم تكن المحبة الا عديدا من العواطف المتفاعلة فى اغوار النفس البشرية ـ ألماً كان أم سعادة ـ وهذا سر تسميتها لدى علماء النفس بأنها اقتسام نعيم ، أو تشاطر جحيم بين الافراد والجماعات ·

وحتى لا نوغل فى التحليل ، نرى ان المحبة بمثابة لقاء بين السجايا الحميدة ، وامتزاج عقلى ووجدانى يكمن فى الأعماق اثر استكمال مسيرته الجادة نحو مشارف الكمال والتسامح ، وحيث تجنح النفس المؤمنة به الى التضحية ، وتتوق الى انكار الذات فترتقى الى معارج العفة والوفاء ·

إنها اذن ترجمة جميلة يعبِّر بها الانسان نحو اخيه الانسان ، وعندما تكون هى الدافع القوي الى كبريات الفضائل ورفيع السجايا ·· ولم تكن المحبة فى أى وقت ميلا منحطاً ملازما للبرجوازى « كما يصفها هذه الأيام فتيان وفتيات الصين الحديثة » ! ولهذا نجد أن المحبة بمثابة اليد الطولى لرفع صرح المجتمع ، وخير وسيلة لتوثيق عرى الصداقة ، واقصر طريق لمحو البغضاء والعداء ·

وقد تختلف ضروب المحبة فى الفحوى والحدة ٠٠ من حيث الألم والرضاء ، والسعادة والحرمان فتنمو وتتطور بأندماجها وتفاعلها فى حنايا النفس ، وبمرور الزمن تزداد تأصلا ورسوخا ٠ وهناك صنفان من المحبة ، صنف كاذب يزول بسبب زائل لطمع مادى أو غرض نفسى ! فهى أشبه ما تكون بالنزوة العارضة والعاطفة الجياشة التى تجيش لتهدأ ، وتصعق لتخمد بعد حين ! أما الصنف الآخر فهو صادق راسخ ، قائم على ركائز من احترام وفهم دقيق ، وموازنة ذكية بين المزايا والنقائص حيث تنتهى بتآلف الأرواح واتحاد الطباع والأمزجة ٠

وللعالم والفقية الاندلسى ابن حزم رأى فى المحبة بعد تحليل دقيق يفرق فيه بين الارتباط الروحى دون الجسدى وبين عاطفة الحب والاشتهاء فيقول :

« إن للمحبة ضروبا أفضلها محبة المتحابين فى الله عز وجل ، اما لاجتهاد فى العمل ، واما اتفاق فى اصل النحلة والمذاهب ، وأما لفضل علم يمنحه الانسان ، محبة القرابة ومحبة الألفة والاشتراك فى المطالب ، ومحبة التصاحب والمعرفة ، ومحبة البر والاحسان عند أخيه ، ومحبة الطمع فى جاه أو منصب ، ومحبة بلوغ اللذه وقضاء الوطر ـ وربما كانت لسبب من الأسباب تفنى بفناء سببها ومقضية مع إنقضاء عللها ٠ (١)

وقد يتفاوت الأفراد فى نظرتهم وتقديرهم للمحبة ، وحكمهم عليها بتفاوت أحوالها ، وعوامل نشوئها بينهم ٠٠ وهذا التقدير أو المكانة عندهم مرتبطة بتأثر ميلهم وهدفهم ! ومهما تفاوتت درجات المحبة وتعددت اشكالها فهى ضرورية للجميع كأحتياجهم الى المأكل والملبس والحركة والراحة ـ شريطة ان تكون خالية من شوائب الكبرياء والغرور ، وبعيدة عن أوضار الشهوات والماديات ٠

---

(١) طوق الحمامة : طبعة القاهرة .

ولا يغيب عن الأذهان أن هناك شيء يسمى محبة الانسانية ، والكون بما فيه من نبات وحيوان وجماد الى آخره ، لكن محبة الناس يقاس دائما بمعيار المشاعر والعقول ، وليس بمقياس الشهوة والمنفعة الفردية ! ومنشأ هذه المحبة هو التفاهم المتبادل والخلق المنيف لتعاطى المنفعة وتشاطر الاحترام ، واسداء النصيحة ، والتضحية بجزء من السعادة التى يملكها الفرد وما الى ذلك من عطف واخاء واحسان تمليه علينا قسوة الظروف ونداء الواجب ٠

نحن مثلا عندما نقف لنمسح دمعة باك ، أو نهدى ضالا او نرشد جاهلا ، أو نطعم جائعاً ــ نفعل ذلك بدافع شعور لدينا بالوفاء وإحساس بالرأفة وتقديس للواجب ٠ تلك هى اذن صورة من صور المحبة الانسانية ، فالانسان الذى ينفرد عن بعض الكائنات الأخرى فى الخلق والخُلق لهو أحق بهذه المشاعر نحوه ، ولأن محبته قطعاً تشكل شرطاً من شروط الايمان كما يحث الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ٠

ومن البديهى أن نجد احيانا يكرة الانسان نفسه ــ ولكن ليس لدرجة التحقير ــ حين تشتد عليه تصاريف الدهر ، وتثنى عزيمته النوائب حيث يقوده عمله الى فشل ذريع ٠ واذا كان حب النفس واجباً ومقدساً ، فليس معناه ان يبلغ بها الى حد الاستعلاء والغرور حيث يدفعه الى الاستهانة بحقوق الآخرين وتقديم مصلحته الفردية على غيره من المجموع ٠٠ انهأمن غير شك اشد الأهواء ضراوة حيث تنقلب الى الانانية التى تقود الى الطمع والنزوع الى الشهوة والرغبة فى التسلط وهذا لا يعدو عن كونه مبدأ سيئا للعمل ، وموقفا معاديا تجاه الحياة ، وحين يطلق العنان لها تصبح أداة لتحطيم المجتمع وسبيلا الى بعث الفوضى والاستهانة بالعدالة ، وتعريض سلامة الآخرين وأموالهم وكرامتهم للخطر فى اى وقت !

يقول أديب المهجر جبران خليل جبران :

« اذا كان قلبك بركاناً فأنى لك ان ترى الازهار تتفح فى يديك » !

إن المحبة التى نلمسها بين الرجل والمرأة هى التى تتصف بالعفة والانسجام ، وتمازج الارواح وتقارب النفوس والتى تنشد التوافق والارتياح لامتداد بقاء الخلف ، او لارادة مكملة توجد فى الطرف الآخر ٠ والمحبة التى نعنيها هنا بين الرجل والمرأة ٠٠ هى البادرة الأولى التى تفضى نهايتها الى الزواج ، والذى يهدف فى حد ذاته بناء المجتمع بايجاد الأسرة أولا ثم ورسم خطوط حياة أمة تنشد السعادة والرخاء والعدل ، وتضمن الأمن والبقاء ٠

قال تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » الروم ٢١

واذا كانت المحبة والخلق الكريم والتفاهم المتبادل هى الدعامة القوية لبناء صرح الزوجية ــ فمن الخطأ أيضاً ان تقوم الزيجة بلا مودة ، بلا تلاؤم ، وبلا إنسجام بين الطرفين كما هو معهود ومألوف لدى بعض الأسر فى مجتمعاتنا جرياً وراء العادات المستهجنة ، والتقاليد الجائرة ، وشرائع البشر المستبدة ــ حين تدفع الاسرة بفتاتها دفعاً للبناء من شخص لا تقارب فيه بينهما فى الميول والخصال والأفكار ولا حتى الاعمار ! فكيف لحلوة العشرين أن ترضى يوماً عن همسة الخمسين ؟ اللهم الا لطمع مادي تسعى اليه الأسرة لاقتناء ثروة أو نيل جاه !

مثل هذه الزيجة اذا تمت فستكون غالباً ــ إن لم نقل دائما ــ فمصيرها الفشل حيث يدبّ الانشقاق بين الزوجين ثم يحدث ما لا يحمد عقباه ، ومع الزمن يتوالد التنافر والنشوز بينهما مما يحول دون استمرار تلك العلاقة المقدسة ٠ والنتيجة المتوقعة هى حدوث أبغض الحلال عند الله ، وما ينتهى به من تدهور وانحلال وتشرد وضياع لحياة الأبناء !

ولا نبالغ فى القول حين نقول : بأن هذه العاطفة الندية لا تعيشها طبقات معينة ، ولا تمتاز بها قطعاً طبقة دون أخرى ــ كما عرف فى عصر النبلاء وطبقة الفرسان فى أوروبا ــ حين أنكروها على طبقة العبيد والفلاحين قبيل الثورة الفرنسية ! ولهذا لا نجد أية شريعة سماوية ولا أى نظام فى الكون يقر أسلوب التفرقة فى المشاعر والعواطف بين طبقات البشر ٠

لاشك أن اولئك وان اعتادوا على سن القوانين من أجلهم حين تجسدت لانسانيتهم مادية الحياة ، ولكن هل من الحكمة فى شىء أن يكون عنصر اللون والجنس سبباً فى التفرقة فى المشاعر أو العواطف ؟ وقد يكون الحافز وراء هذه الفكر السقيمة اذن هو هيمنة روح الطبقية آنذاك أو ربما كان حافز الترف وحياة اللهو ــ أوكما يعرفها الباحثون « حياة الخمول والابتعاد عن مشاكل المجتمع وصوائبه » !

ومهما يكن من أمر فى أن الرقي الحقيقي هو الانتهاج السليم لسبل الثقافة ، والخلق المنيف والانعتاق من قيود الماديات ، وانتشال العقل من ثمة قذارة جسدية ٠٠ ولا خير فى مجتمع لا توحدهم المحبة والتآلف ٠

غير أن المحبة لا تسود فى مجتمع إلا اذا تكافأت شعور الأفراد ، وتأصلت فى نفوسهم تلك العواطف والاحاسيس ٠ وهذا الاحساس المتكافىء بين الافراد فى الوطن الواحد سيكون عرضة للاختلال والهدر اذا ما تعرض المجتمع لهزات الطبقية ، أو عصفت به ريح الظلم ! ويضيف علماء الاجتماع الى ذلك حين يذكرون ــ بأن الطبقية قد تجد طريقها الى المجتمع فى أى وقت حين ينشأ بين ابنائه « التناقض الشاسع » بين الثراء والفقر ، أو البؤس والرخاء ، ولأن فى هذا التحول دفعاً بالوطن للاجحاف فى حق أبنائه ٠٠ ولهذا تجد أن فى الباطن من لا يعنيه التقدم والرفعة له ٠

يقول الدكتور أحمد زكي :(١)

« أن الوطن الجدير بالمحبة والتضحية والفداء هو ذلك الذى يتقاسم ابناؤه النعيم والحرمان فى آن واحد ٠٠ فبدافع الوطنية يهب المرء لنصرة وطنه ، ويضمد جراحاته ، ويوقد روحه شعلة من نضال تنير لياليه الحالكة »

ولا جدال فى أن الافراد فى الوطن الواحد نجدهم مدفوعين للحفاظ على تراث وطنهم الحضارى ، قيمه الأصيلة ، وازدهاره والحفاظ أيضا على كرامته اذا ما وجدوا الشعو ر الصادق متكافئا فى الحدة بينهم ، وفى وقت تلاشت فيه الأثرة بين مختلف الطبقات فتهاوت كل الحواجز الوهمية ، واندثرت تلك الفوارق الاجتماعية والاقتصادية ٠٠ والتى مردها فى الغالب هو التخلف الفكرى أو العجز السياسى أو الاجتماعى ٠ إن حب الوطن يتأصل فى أعماق أبنائه الأبرار ، ويستأنف نموه ويترعرع مع الفرد فى مدارج الحياة ويحيى بين رباه ، ويتنفس هواءه ٠٠ « يشتد حنينه اذا فارقه ويجزع حين تعرضه للخطر ، ويسهد اذا اطبقت عليه براثن المحن والغدر » ٠

مما تقدم نجد أن مكانة الحب تعلو أو تنحدر بقدر ما تكون للانسان من نوايا حسنة أو مآرب خبيثة ، وأفضل انواع المحبة هو ما يسعى صاحبه جاداً وراء المعانى الجميلة التى تعبر عن الحقيقة ، وتهدف الى تبيان الواقع ٠ وهذه العاطفة الصادقة السامية تندر وجودها هذه الأيام ـ عدا لدى رهط من الناس حين يخلصون لأدبهم ، ويقدسون فنهم ، ويتمسكون بمبادئهم فيعزفون عن الماديات ولذاذات الحياة العابرة ! وما نسمعه أو نقرأ عنه من آن لآخر عن حملة الأقلام والسلاح والمزاهر ومشاعل النور الذين تجلت في طبيعتهم عمق البحث ، ونفاذ البصيرة ، وسعة الاطلاع ، وسداد الحكمة ، وما الى ذلك الا سببه المحبة والصدق فى العمل ٠٠ حين يكون هذا حافزاً للمناقب الجليلة ، وإلهاما للأثر الأدبى الجيد والابداع الفنى وكل تطور وابتكار يواكب مسيرة الحياة ٠

---

(١) مجلة العربى عدد ١٢٣ فبراير ١٩٦٩

ولم يكن الحب فى يوم من الأيام بدعا أو محظوراً فى الكتب السماوية أو المجتمعات الانسانية السالفة — اللهم الا لدى بعض القبائل الهمجية القاطنة فى أوستراليا وبارجواى والسكا ، والذين ارتادوا حياة السلب والنهب !

ومهما يكن من أمر فان أية نظرة انسانية ملمة بالاخلاق والمثل العليا فى هذا العالم لا تقاس قطعاً بأفكار القبائل الهمجية ، أو اولئك الذين لا يملكون سبيلا غير العنف ، ولا يؤمنون إلا بنظرية تطوير الاسلحة لسفك مزيد من الدماء !

يقول استاذنا الكبير الراحل عباس محمود العقاد :

« وقد يكون من اللغو هنا أن نرجع الى أدوار الهمجية الأولى لنتخذ منها حكماً على أصول الاخلاق ومثلها العليا · اذ كيفما كانت اخلاق الانسان فى تلك الأدوار فليس من المسلم به أن حالة الهمجية هى الحالة الطبيعية الصحيحة بأى معنى من معانى الصحة فى الجسد أو العقل ، ولا من المفروض إنها الطبيعة كأحسن ما يمكن أن تكون » ·(✻)

ومن العجب حقاً أن نلمس فى حاضرنا المعاش تلك « الامم المتحضرة » والتى قطعت شوطاً كبيراً فى التقدم الصناعى والفنى والثقافى ·· ولا تزال تملك فى حوزتها بكل تعنت واصرار آلاف الأطنان من أسلحة الدمار للارهاب والفتك ! أى تعبير أدبى وانسانى هو ذاك الذى تطلقه حين تزعم بأن وجود هذه الأسلحة لنشر المحبة ، وارساء قواعد النهضة ومناصرة السلام فى ربوع هذا العالم ؟ ولا يخفى على كل ذى بصيرة ، انه لا فرق بين تلك الهمجية المتوحشة ، وحياة هؤلاء المتعطشين لدماء البشرية والمتجاهلين لأنبل المشاعر الانسانية !

✻ مراجعات فى الأدب والفنون : تأليف الاستاذ عباس العقاد

وبعد فان المحبة شعلة مقدسة يجب أن تضىء فى كل نفس لتنير أغوارها ، وتبدد ضباب اليأس المتراكم عليها ، وتطهرها من الأدران العالقة بها فتقودها الى جلائل الأعمال ٠٠ وعلى النفس كذلك أن لا تسىء فهم استعمالها فتحولها الى اداة لخلق المآسى والشقاء ، والزج بالنفوس الى مغاور الدنايا والخسائس ٠

نحن مع الذين لا يؤمنون أو يتصورون بأن الحب عشق يؤثر فى نفسية المحب ، ويبدل من شخصيته لدرجة الهوس والجنون ، أو أن يرضخ للذل ويستنيم للهوان ـ ومن يدرى فقد ينزع الى إرتكاب حماقة !

نحن نؤمن بالمحبة التى تهدى الى مشارف التسامح والصفاء الروحى والعقلى ، وتقود صاحبها الى رحاب الخير والتفاهم والانتاج الخلاق حيث يعود على المجتمع بالتقدم والرخاء ـ وليست تلك التى تدفع بالانسان للمشي بجانب المثالب ، وتؤدى الى اختلال الأوضاع وتصدع كيان الاخلاق !



القسم الرابع :

عزف منفرد :

١ ــ نقطة عرق !
٢ ــ عبدالله ·· ذلك الغصن الأخضر ·
٣ ــ اين تكمن المشكلة ؟
٤ ــ شيىء من المقاطعة ·
٥ ــ دردشة بلا رتوش ·
٦ ــ الحضارة الاسلامية لا تنكر الفنون ·· بل تهذبها ·

نقطة عرق !

لولاك أيتها الغالية لما التحف وجه الأرض ببساط الأزاهير اليانعة ليعب المرء من شذاها ويحتسى كؤوس عطرها الندى ، لولاك لما تفتتت اكباد الصخور لتجعلى فيها نفقا يعبر منها الغاد والرائح ، لولاك لما أطلت تلك السنابل بوجوهها القمحية عبر شرفات الحقل الاخضر لتكون بعد لحيظات من عمر درسها لقيمات هنيئة تسد افواه الجياع المتلهفة ، ولولاك لما حمل السلاح ليذاد به عن العرض والكرامة والوطن ٠

أنت فى رقتك تستطيعين ان تصهرى كتل الحديد والصلب فى قلب المصانع، فى ضعفك تقدرين نبش المعادن الثمينة المندسة فى اعماق المناجم الحالكة ، أنت فى سكونك تملكين القدرة على توفير الكساء الواقى لتلك الاجساد العارية الهزيلة التى تئن تحت وطأة الحر ويشل اعضاءها صقيع الشتاء ، وأنت أيضاً فى ميلادك تبعثين الكرامة والاطمئنان فى حياة الافراد الذين يبحثون عن العزة ويرفضون الانصياع لذل المسألة والخنوع كما يعمل اولئك الواقفون المستعطون امام ابواب الرحمة والشفقة وخلف جدار الاحسان والهوان معاً ٠

إن العزة لا يقوم لها مقام الا فى رحاب وجودك ـ فمن يا ترى ينكر افضالك وهو يلتمس دفقات الخير والنعم تحتدم فى شرايين الحياة كل لحظة ، ومن يغيب عن ذهنه ما تحملين من معنى الوجود وتسبغين بعطائك اللامحدود من الرفعة والاطمئنان الى البشرية التى فى حاجة الى كل ذرة من ذرات الرخاء والتقدم والسلام ٠

مرة رحت اتقصى عنك فى مجالس التافهين الذين ضلوا فى دروب الضياع والشهوات الجامحة فلم أجد آثار خطوك ، وفتشت عنك فى خيام البائسين الذين راعتهم اشباح الخوف والقنوط من ان يولجوا معترك الحياة فأجابوا

انهم لم ينعموا ولا مرة بلقياك ، واخذت أسال وابحث عنك حتى وجدتك تمضين جل وقتك فى اكواخ الكادحين ، وتستأنسين العيش فى قلاع الصامدين ٠٠ رأيتك بجلاء تشاطرينهم الفرحة ، وتقاسمينهم الرغيف الساخن ، وتنشرين عطرك العبق فى جوانب نفوسهم المؤمنة ٠

لقد ذهبت عنى حيرتى حين وقفت أتأملك مرة على جبين الفلاح البائس الذى ينثر البذور مع حباتك فتختلطين بالتربة وتسقين النواة التى تذوب لوعة الى لحظة اللقاء والرعاية بقدومك ، ومرة رأيتك تسيرين بخطوات مترنحة وتتدحرجين كالكرات الفضية بين كهوف وجه متشح بهالات الاصرار والصمود لذلك الجندى الذى حكمت عليه شرائع البشر المستبدة واعداء الانسانية لان يفارق صغاره ومحبيه الى ساحة الموت للدفاع عن العقيدة والمبادىء ٠

ازدادت فرحتى مرة حين نظرتك تقبعين فى رفق على سواعد العامل الفتية وتتنقلين على ممرات ومنحدرات صدره الشامخ كالوسام الذى يزين صدر صاحبه .... فتقنيه من ذل السؤال والعوز وتخطين عبارات رقيقة على صفحات قلبه قصة كفاح طويل تحكى عن العزيمة والتحدى الذى يعايش لحظاتهما فى كل زمان ومكان ٠

وأخيرا لمحتك وراء كل شيىء فى هذا الوجود،وراء المحبة التى تهدم صروح الحقد ، ووراء الجد الذى يمزق غشاء الانحلال والخمول ، ووراء الفجر المشرق فى سماء التضحية والفداء حين يزيح عتمة المادية ويغسل غبار الانانية المتراكم على وجه الكون ٠ أنت اذن فى كل مكان وزمان لأنك من روح الحياة ورحيق النضال الذى لا غناء للحياة عن وجودك ولأن لحظات عمرك اقوى من الدهر ٠

يثقل على قلوبنا وقع الالم ، وتجتاح نفوسنا بحور الحيرة حين نراك على جبين الاجير الكادح الذى يستنزف قواه ويستثمر يومه وجزءًامن ليله ويهب

بقايا راحته ليطعم المترفين الاقوياء الذى يمضون يومهم متنقلين فى رياض الراحة والهناء ، وينفقون ليلهم بين أروقة المجون واللهو ·

ما بالهم ومن شاكلهم لم يضعوا فى الاعتبار قيمتك المعنوية ، وانكروا حق صاحبك قبل ان تجف قطراتك على جبينه !

ما أروعك أيتها النقطة ، انك لحن أمل يتردد على شفاه المكافحين الرافضين لعبودية الايام وأصفادها ، أنت دفقة قوة فى زنود العاملين لتهب الحياة والخصب والنماء ، أنت ومضة نور فى عيون البائسين لتخرق جدران الصمت ، وتنير الحياة السائرة فى موكب الحرية ·· بل أنت جرعة إباء فى كأس التحدى تحضنها يد الاصرار ·

ما أجملك أيتها النقطة ، انك أمنية تتجسد فيها كل عطاء ، وطاقة ترمز للمجهود والكفاح وما أعظمك أنت فى كيانك نقطة عرق ، ولكن تشكلين فى مضمونك بحراً زاخراً من السعادة والكرامة والامان من الفقر ·



عبدالله ٠٠ ذلك الغصن الأخضر

صحت شواطىء الخليج شبابا وشيبا على ذلك الفجر الكئيب المكفهر وهى تغسل أجفانها بفيض من الدمـع الهتون ، ويتلظى قلبها الحنون بنشيج الألم والحسرة بعد أن اقض مضجعها نبأ الفاجعة الأليمة التى ذهب ضحيتها فى ذلك ابن بار من ابنائها الأبرار حيث وطأت اقدام الشر الرعناء زهرة حياته اليانعة حين تناثرت أفيافها على قارعة الطريق قبل أن تهن قدما صاحبها ، أو تنهك خطواته الشابة وعثات الدروب !

صحت تلك الشواطىء الأبية على رنين اجراس الصباح الجنائزية الحزينة حين انسابت بين ثنايا روابى ارضها الطاهرة تلك القطيرات الدموية الزكية حيث امتدت ايد الغدر على حين غرة وهى تحمل بين أناملها سلاح الاجرام والوحشية لتطعن به قلب ذلك الانسان الشاب الذى حمل فى قلبه شعلة الايمان والحصافة ، وفى يمينه لواء الحقيقة والشجاعة لنصرة الكلمة الخيرة ، والمبادىء الانسانية النبيلة ٠

وبعد ان فاضت تلك الروح الأبية الطاهرة ، وعلت الى بارئها الأعلى ــ فارق عبدالله المدنى الحياة بعد أن عاشها مرها وحلوها ، أملها وألمها ، فارق عبدالله الحياة وترك الاهلين والاخلاء غرثى فى عالم يتخبطه الشقاء وتتحداه القسوة ! نعم لقد عاش عبدالله حياته من أجل القلم ، وودعها نصيرا للقلم ٠٠ ودعها فى شجاعة وايمان صادقين ونفسه يقظة فى الظلام بين النفوس النائمة فى النور ٠

حين يمسك المرء بالقلم ليخط بعض الكلمات تتوارد عليه الافكار ، وتجتاح مخيلته فيض الخواطر فلا يدرى من أين يبدأ والى أين ينتهى ــ وأية

نهاية تلك ؟ أن الدموع قد تحجرت فى المآقي وان القلب لا يملك حيال الرزء ، وان النفس لا تقوى على الحركة اثر سماع تلك الفاجعة الاليمة !

لقد عاش عبدالله ، ذاك الانسان الوقور ، المؤمن ، والمسالم مؤمنا بالكلمة الصادقة فى سبيل نصرة الحق والحقيقة ٠٠ الحق الذى يعلو على كل شيىء ودحض الباطل فى مواقعه بعد أن نذر لحظات عمره لانبات شجرة الواقع الانسانى والبناء الاجتماعى ومسايرة ركب الصحافة ٠ لهذا نراه قد وهب قلبه الكبير المفعم بالحب والولاء والتقدير هدية لوطنه واخوانه فى مختلف بقاع العروبة والاسلام ٠٠ ياله من عطاء جزل وسخاء كريم لا تجود به الا النفوس الكريمة الابية ٠

ومن ينسى مع الزمن تلك الزهرة اليانعة التى ضوعت عطر السماحة بين الشباب فى رحاب الاخاء الانسانى ؟ ومن ينكر ويجهل ذلك الصوت العامر بالايمان وهو يناشد الحق والخير بين أروقة البناء العربى المسلم ؟ يا له من بناء شامخ مكين خططت صروحه فى القلوب ، وشيدت هياكله فى الوجدان بعيدا عن الصنعة والزيف ٠

لقد كنت يا عبدالله مثلا حيا يحتذى به لنا نحن الشباب أبناء وطنك فى ربوع الخليج العربى ٠٠ كنت كالشجرة الوارفة التى تعطى الظل والثمار لمن حولها للطامعين والطامحين ، كنت لحنا خالداً ينساب فى اعماق الكرماء وتتنوقه حتى الدخلاء ٠ كنت أصلب وارسى من شجرة البلوط رغم شدة الاعاصير ، واكثر تفاؤلا من تلك النواة الصغيرة التى تشق التربة وتخرج الى الوجود رغم قسوة الفصول المتعاقبة ! كنت خير مناضل فى سبيل اعلاء الكلمة الطيبة من نصرة الحق لها ، ولهذا عاشت كلماتك فى النفوس وميضا لا ينطفىء بريقه ، وسيرتك نغماً ينثال فى تؤدة فتغنى النفوس فيضاً من التضحية فى سبيل الواجب فى فترة من الزمن أمست بعض النفوس تطمئن الى الشر أعمق من استكانتها الى الخير !

ان هذه الكلمات يا نصير الكلمة لا تعتبر رثاء بقدر ما تجوب خطراتها فى النفس فتحفر الألم واللوعة لغيابك عن الكلمة ، وان تلك السطور الاخيرة الخالدة من حياتك الحافلة والتى خطها قلبك الكبير المؤمن لا تقوى هذه السطور على ترجمتها.حقا ، لقد كنت فجراً مشعاً يطل باطلالته على ربيع الصحافة ليبدد الظلام الحالك بين ثنايا الدروب المتعرجة ومسارب الخوف ٠

أية يد تلك التى تجاسرت على اخماد ذلك اللهيب الروحانى ، وأية نفس تطاولت فقطعت ذلك الغصن الاخضر الريان والقت به فى طرفة عين فوق هامات الرماد ٠٠ ورغم ذلك الخمود ظلت جذوة الحق تشتعل فى استمرارية ، ورغم ذلك الاعصار اللافح أخذ الغصن يورق ويتأود من جديد ٠ وستظل كلمة الحق والشرف تدوس هامات الضلالة بعد ان تسقط حجب الزيف ، وسيظل النور الالهى وقاداً لا ينطفىء الى الأبد ٠ وهنيئا لك يا عبدالله مع الشهداء والابرار والمناضلين فى سبيل نصرة الكلمة الحقة ٠



أين تكمن المشكلة ؟

من العوامل الخيرة التى تعين الشباب وتعده للحياة وتكملة مسيرتها الطويلة ، هى التربية ٠٠ التى تنمى ذوقه الادبى ، وتدفعه بطاقة العمل المبدع دون ضيق او مرارة حين ينكب على شئون الوطن عن طريق اختلاطه بالمجتمع ودراسة احواله الاجتماعية ، وتفهم اهدافه ، اذ يكون هذا الالتصاق المباشر عاملا مفيدا يدفع الشاب لتحقيق ولو جزء من امانيه القومية ، ودرء ما يحل بوطنه من النوائل والارزاء ٠

على أن العزلة الفردية غالبا ما تكون عند البعض بدافع النفور او الرضا ومنه ما يأتى اثر احكام الانغلاق الذاتى عن المجتمع ٠٠ هذا الانغلاق فى معظم الاحيان يقود صاحبه الى جفاف الانتاج بسبب قعوده عن السعي وتهافته على اللذات ونهش ما يصادف طريقه من الصور المختلفة ٠ يقول بسكال :(✻)

« فى الانسان غريزة خفية تحمله على اللهو والانشغال فى الخارج ، مصدرها شعور مرير ببؤسه المتصل ٠ وفى الانسان غريزة خفية اخرى باقية من عظمة طبيعته الاولى ، تعلمه بأن السعادة فى الهدوء لا فى الجلبة المتصلة »

حين نلاحظ هذا التصرف فنجد ان مبعثه فى الواقع التهرب من المسئولية وعدم مجابهة الحياة مجابهة صحيحة رغبة فى التوصل الى أقرب السبل الملائمة ، واذلال ما يعترض مسيرتها من الصعاب ٠ ان هذه الحجة التى يسوقها اولئك الخاملون ليس الا شعار للتخلص من « هموم الحياة »

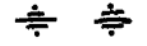
(✻) بسكال : ترجمة نجيب بلدى .

ومتاعبها التى تطوقهم ، بل نقول ان جاز لنا التعبير — الاخطاء التى تحاصرهم من كل جانب ٠ ان أولئك عاجزون تماما عن انتحال شخصية المسئول ـ لانهم لا يتخيلون قدرة على تمثيل تلك الادوار الايجابية فى اى وقت من الاوقات ٠٠ انهم بلا شك يشوهون معانى الحياة ومفاهيمها !

فاذا كانت الحرية الفردية مثلا تبيح للفرد ان يتناول ويرتدى ما يحلو له ، ويقضى وقته كما يروق انطلاقا من مبدأ (دعه وشأنه) ٠٠ ليس من حق هذا الفرد اساءة استعمال الوقت ، واستغلال المال فى غير ما يفيده ـ سيان كانت هذه الفائدة عائدة عليه او على المجتمع ، باعتبار انه فرد من هذه الامة ، وجزء مكمل لها ٠

كذلك لم تكن الحرية هذه فى يوم من الايام منفذا للانغماس فى الفسق ، أو باعثا للاستغلال بقدر ما هى ضرورة لاقامة المجتمع المتكامل ، وتوجيه الفرد وتشجيعه على زيادة الانتاج وابداعه ٠ اذ ليس من العدل ايضا ان يكون هذا الفرد بمعزل عن مجتمعه الذى اسبغ عليه خيره ، واطمأن على مقدراته بين يديه ، ولا بد اذن من مشاركة الفرد الفعلية تجاه اعباء المجتمع ٠

ان المشاركة تكمن فى الانصهار فى واقع المجتمع ٠٠ وحيث النزول اليه ، والتحدث الى افراده للتعرف على شعورهم ومشاركتهم بقدر ما امكن فى شتى المجالات ، وبهذا يمكن لاى فرد التصدى تدريجيا لتلك العزلة والاقلال من جفاف الانتاج ، فليس على الشباب بعد ذلك الا ايقاظ الضمائر من سبات الافكار المصطنعة والصور المبتذلة وكل صورة تعوق مسيرة الحياة وتقدمها نحو الافضل ٠



شيىء من المقاطعة ..

كانت لى حاجة ملحة لشراء دوائى المعتاد فيممت صوب احدى الصيدليات . وبعد دفع المبلغ واستلام الدواء تفحصت الزجاجة والغلاف الذى يغطيها فاذا بها قد تغيرت من حيث اللون والغلاف وكذلك الثمن .

لقد كنت فى حيرة فى بادىء الامر لاننى لم ألمح هذا الدواء من قبل فسألت الصيدلى عما اذا كان قد اعطانى دواء آخر غير بغيتى . قال بدون تردد انه الدواء الذى تتعاطاه ، فقلت : اننى أرى اختلافا بالنسبة لسابقيه . عند ذلك التفت الي وقد ارتسمت على وجهه علامات الثقة بالنفس والايمان العميق فقال : انه نفس الدواء إلا انه من صناعة سويسرا وأن الدواء السابق هو من صناعة ألمانيا الغربية ولقد قاطعناه حسب الظروف وتبعا لرغبة الجمهور ، وأضاف قائلا : ان سويسرا على الاقل بلد محايد ولم تكن متواطئة مع العدو

ان تلك الكلمات التى فاضت من قلبه وتدفقت على لسانه فكانت مثلا صادقا للنبل والنزاهة يستحق عليه كل تقدير . لقد دوت تلك الكلمات فى مسامعى وأفاقتنى من غفوتى فتذكرت آنذاك انها صناعة من بلد صديق لاعداء العروبة والانسانية أو بالاحرى هو العدو فيجب مقاطعته . ان ذلك الدواء الملعون الذى ندفع فيه أموالنا ضعفى ثمنه الذى يزداد بقدرة قادر ليتحول بواسطة العدو الى رصاصات غادرة تمزق صدور اخواننا وأخواتنا فى الدم والدين . لقد تأكد لدى الصيدلى انه لو أحضر من الدواء المذكور أية كمية فسوف تقاطع من قبل الجمهور فعندها يكون مرده البوار والخسران .

ومن ناحية أخرى مشاركة منه لآمال وآلام اخوانه وأبناء جلدته ، انه شعوره الانسانى الحق وعروبته الاصيلة العميقة الجذور حتمت عليه تجنب

شراء بضاعة الاعداء · ولم يكن كبعض التجار الذين لا تتوفر لديهم تلك المشاعر السامية ويعميهم الجشع والطمع ولا تمنعهم انسانيتهمُ من التعامل مع العدو · لا يضعون فى اعتبارهم شراء البضاعة ومن أية جهة جاءت ومن صنعها ولمن تذهب ، ان كل ما يهمهم هو الثراء الفاحش على حساب الغير وملء جيوبهم بأية طريقة !

ان أى شيء يسىء الى كرامتنا ويحط من قدر عروبتنا ونجنى من ورائه ثمار الضرر والهلاك لنا ولاخواننا فى الوقت الذى يرفع من مكانة العدو ويقوى عزمه للتسلط والتصدى لجميع آمالنا وحقوقنا لا نرضى ولن نرض عنه أبدا ·

ان المسألة هى مسألة كرامة ، والجمهور اذا رغب فى اشياء يشتريها كان فرضا على التاجر ان يوفرها للمستهلك والا كان مصير بضاعته الخسارة وقس على ذلك أشياء اخرى ·

فنهمس فى آذان أولئك القلة من الذين طمست أنانيتهم ومطامعهم معالم انسانيتهم وحببت الى نفوسهم استنزاف خيرات الامة ، انه سوف تكون بضاعة الاعداء مقاطعة أينما وجدت وكيفما بيعت ومتى أحضرت فان كرامتنا تأبى علينا أن نشترى بضاعة من صنع أعدائنا ·



دردشة بلا رتوش

لم اكن أعرفه من قبل إلا فى السنوات الأخيرة ، ولقد جاءت معرفتى به صدفة ـ ويالها من صدفة ـ إختارتها الظروف وحددها القدر حين التقيت به ذات صباح وهو يعب من نسائم الربيع ، ويتنفس أريج الزهور حيث افترش البساط الاخضر من الاعشاب ، وبجانبه بعض الكتب وقد قلب بين يديه المعروقتين صفحات أحدها ، وهو يتأمل ويحدق البصر مليا من خلال منظاره السميك فحييته ٠

إلتفت الى ذلك الرجل العجوز الوقور وأخذ يرمقنى بنظراته فحاولت ان أشغله عن ذلك بعض الشيء ٠٠ فقلت له : هل هذه الكتب للبيع ؟ فقال لا ، بل للقراءة ٠ فقلت له : هل تحب القراءة يا والدى ؟ قال نعم ، ولقد افنيت عمرى فى القراءة ، وكلما قرأت شيئا وجدت نفسى متلهفا للمزيد وهكذا ٠ قلت وأنا اخلط جدى بهزلي وما فائدتها ياوالدي ؟ قال باختصار ، القراءة هى الحياة يابني ٠ قلت وكيف توصلت الى هذه المعادلة ؟ قال : اجلس ! فجلست معه لأشنف مسامعى بحديثه الأبوى العذب ٠

قال : القراءة ، رحلة تنقلنا عبر مجالات كثيرة حين نتنقل فى أعماق رواد المعرفة لنتأمل بأفكارنا ما يكتبون ٠

قلت وما تعنى الكتابة إذن بالنسبة لنا ؟

قال : الكتابة تعبير خلاق عن تجربة الحياة الأنسانية من خلال معاناتها تعكس واقعه ، وتصوره عندما يصوغها صاحبها بالكلمة التى يؤمن بها عن وعي ، وينقلها بأمانة من صفحات قلبه الى صفحات الكتاب ٠

قلت : وهل كل الكتب مفيدة ؟

قال : الكتاب صديق أخرس ندرك ما يوحى به ، ولا يفهم ما نتحدث عنه حين ننقب عن المعرفة ٠

قلت : المعرفة هى شىء نسبى ، وكيف نحددها ؟

قال : المعرفة نوافذ صغيرة فى قلب الحياة نطل منها بقصد التفاهم مع الآخرين وبلغاتهم ٠

قلت : وماذا تعنى بالتفاهم ؟

قال : التفاهم هو أن أصغى لما تقول ، وأن تعى ما اتحدث عنه أيها الانسان بعيداً عن معطيات الحياة ومغرياتها !

قلت : ما قيمة الانسان عندك ؟

قال : الانسان أعتبره بمثابة شمس صغيرة تتنقل على صفح الأرض ، إما تحرق من حولها بحرارة الجور ، أو تضيىء لهم جوانب الحياة المظلمة بشعلة الحب ٠

قلت : لقد اقتربنا من الجد ـ فما تعريف الحب لديك ؟

قال : الحب صحراء شاسعة يظل السائر فيها حتى يهتدى الى واحات الحياة ، أو يتيه فى أودية الموت !

قلت : نحن ما لنا وما للموت الآن ؟

قال : إن لنا الكثير يا بنى ـ فالموت هزيمة أبدية تخضع لها طوعاً او كرهاً كل إرادة فى الحياة !

قلت : يقولون ان الحياة حلوة ، ولكن كيف نذق طعمها ؟

قال : الحياة هى صراع من عدة جولات ٠٠ على المغلوب ان يتقبل مرارة الهزيمة بروح عالية ــ وعلى الغالب أن لا تبهره نشوة النصر ٠

قلت له صدقت ، ولكن النصر أصعب مما تتصور ــ فكيف يتحقق ؟

قال : النصر ثمرة صالحة يجنيها صاحبها فى حديقة الكفاح والعمل ٠

قلت : وما نوع العمل ، وهل كل الاعمال تفيد صاحبها ؟

قال : ليس العمل إلا استقلال تام وقويم للفرد والأمة فى ظل الحياة بعيداً عن ذل المسألة وأغلال الحقد ٠

قلت : أعوذ بالله من الحقد ، ثم أضفت : لا أدرى لماذا يحقد المرء ؟

قال : الحقد مهما كان نوعه فهو كشجرة بلا ظل ولا ثمر ، تعصفها فى أى وقت رياح الفشل مع الأيام !

قلت : ما أشقى الأيام ، وما أغدرها ؟

قال : الأيام لحظات تنفجر فيها دموعنا أو تنفرج فيها أساريرنا ٠٠

قلت له أعتقد أن السعادة وهم كاذب فماذا تقول ؟

قال : السعادة شقاء عذب أو عذاب شيق فى حضن التاريخ !

قلت وأنا اتحرى الاجابة بشوق ــ لكن ما تفسيرك للتاريخ يا والدى ؟

قال : التاريخ شاهد عيان فى محكمة الوجود ، يحسم نهاية لقضية انسانية عادلة فى أى موطن من المواطن ٠

قلت : وهل كل الأوطان التى نعيش فيها هى أوطاننا ؟

قال : كلا ان الموطن الحقيقى أم ترضعك الحنان ، وتمهدك فى رداء العزة ، وترعاك بالمحبة وتفطمك على النضال والصبر ٠٠٠

قلت : لقد صبرنا حتى كاد الصبر يملّنا ، والى متى يقدر المرء على الصبر ؟

قال : لاتجزع فالصبر فأس قوية يحطم بها حاملها صخرة الشدائد بكل ايمان وشجاعة ٠

قلت : هل بقى لنا شىء يسمى الشجاعة ؟

قال : مهما كانت الشجاعة نوعها فهى تجربة نكتشف عن مدى فاعليتها فى معمل الأحداث لمصدر القوة والعزيمة حين تصمد النفوس ٠

قلت : أى النفوس بالله عليك ، فى هذه الايام لا توجد نفوس ولكن حسبما نسمع هناك فلوس ٠؟

قال : النفس يا ولدى عقل وقلب ، الاول يفكر والثانى يقرر ــ رغم ذلك القدر الموهوب من الله تعالى ٠

قلت : إننى أرى الآن تلك الحلقات تستحكم فلا أدرى ما تعريفك للقدر رغم الاختلاف فيه ؟

قال : القدر صحيفة تطالعنا فى الحياة دائما ، ولا يفقه ما تحويه سطورها الا البعض منا فى العمر !!

قلت : يقولون أن أطول الناس أعمارا أنفعهم أعمالا ، فماذا يعنى العمر بالنسبة لك ؟

قال : ان العمر هو ساعة ندم ولحظة رضا فى حياة الرجل والمرأة ٠

قلت : هل المرأة لغز يا والدى كما يدّعون ، أصحيح بأنها لغز محيّر ؟

قال بعد ان مرت برهة صمت : المرأة حسب اعتقادى مخلوقة تريد ان تصقل نفسها وتدعم شخصيتها وتكوّن من ذاتها كيانا مستقلا فى دنيا يستبد فيها بعض الرجال ! وبينما نحن هكذا وأنا أرشقه بوابل من الأسئلة أدخل يده فى جيبه واخرج غليونا صغيراً وعبأه بقليل من التبغ واشعل غليونه حيث أخذ ينفث الدخان من حوله قال ألم تنته من استفساراتك ؟ قلت بلا ، ولكن تحدثت عن استبداد الرجل فماذا تعنى بهذه الخصلة ؟

قال : الاستبداد عبارة عن سوق تباع وتشترى فيه الافكار بثمن بخس وبعملات الانانية ٠

قلت وأنا أمسك نفسى من الضحك ٠٠ الذى نعرفه ان هناك شيئًا يسمى عملات صعبة فماذا تقصد بالانانية ؟

قال : الانانية هى نار يتأجج لهيبها بين جوانح الحاقدين فى دنيا يعشقها الجهلاء !

قلت : وهل هناك تعريف آخر للجهل ؟

قال : إن أخطر شىء يخاف على المرء منه هو الجهل : انه سجن رهيب محاط بحراس الانحلال والوحشة ، والضياع والفقر !

قلت : ان المثل الدارج يقول أن الفقير له الجنة فما تفسيرك للفقر ؟

قال : الفقر هو عنصر معطل للحياة البشرية والمواهب الفنية ، وقد يكون حافزا لاية جريمة !

قلت : اذا كان الفقر دافعا للجريمة ، فكيف تعرف الجريمة إذن ؟

قال : الكل يدرك ان الجريمة جيفة نستطيع ان نخفيها وليس باستطاعتنا إخفاء رائحتها عن أنصار العدالة ، وأصدقاء الحق ٠

قلت : من المسلم به انه مثلما يوجد للباطل أعوان ، هناك أيضا للحق اصدقاء فما وزن الصداقة فى نظرك ؟

قال : الصداقة الطيبة هى بمثابة خيط من نور يربط القلوب برباط الود ، وينقلها من كوخ العزلة والجمود الى عالم رحب من التحرر والانطلاق بعيداً عن روح الأثرة والكذب !

قلت : هل هناك انواع من الكذب يا والدى ، فماذا يعنون بالكذبة البيضاء ؟

قال وهو يهز رأسه : ليس هناك كذب ابيض وآخر اسود ، فالكذب جسر منهار يريد أن يعبر من فوقه انسان أودع ضميره للريح ·

قلت : إن الله قد خلق لنا الضمائر ، فكيف بنا نجد البعض فاقد الضمير بالرغم من انه يحمله بين جنبيه ، وكيف يفقد الضمير احساسه ؟

قال : الضمير معيار دقيق نوزن به الحقائق بصدق وصراحة !

قلت : يقولون ان الصراحة راحة ، وبعض الناس يحمل لك العداء حين تصارحه فى أمر من الامور التى تنفعه او تضره ·· فبماذا تفسر هذا التناقض يا والدى ؟

قال : ان الصراحة عندى بمثابة لقاء بين اثنين ــ يبدأ بصفعة ، وينتهى بابتسامة فى رحاب الأخوة ·

قلت : اننى لا أعرف الى اى مدى تكون الأخوة فما اكثر التعابير الأدبية هذه الأيام؟

قال : لابد لك من التآخى مع الآخرين اذا كان فى هذا خير للجميع ، لكن الأخوة التى اقصدها هى انها الانسانية التى تتعرف عليها فى الشدة ، ولا تجهلك فى لحظة الرخاء والجاه !

قلت : ان الجاه قد ينفع صاحبه على الاقل اذا لم يخدم الآخرين لكن بشرط ان لا يكون وسيلة للاضرار بالاخرين ، فما رأيك ؟

قال : قد يكون الجاه كذلك عند البعض ، اما فى اعتقادى ان الجاه كمخدة يتكىء عليها صاحبها العجوز فيغفو، ثم لا يحس بمن حوله ـ وحينما يفيق لا يجد أحداً من اصدقائه الشباب ·

قلت : بالرغم إن قلبك شاب فما تعريفك للشباب الذين نتوسم فيهم الخير ؟

قال : لقد علمتنى التجارب دائماً ان الشباب ثروة كل عصر لا تقدر بثمن ، وبامكان ان تتبدد هذه الثروة اذا لم يحسن استغلالها !

قلت : ان الاستغلال وجهان لعملة واحدة فأيهما تعنى ، وقد يعتبره البعض كحبة عدس لا تعرف وجهها من خلفها ؟

قال : نعم فاننى ارى الاستغلال كعاصفة تهب على حياتنا فتثير فيها الحرمان أو السعادة بسبب الطمع أو الطمح.

قلت لصديقى العجوز الوقور لقد اخذت من وقتك الكثير ولكن هل لي أن أعرف معنى الطمح ؟

قال :وهو يلتقط أنفاسه : انه يا بنى انشودة يكتب كلماتها ، ويضع ألحانها الصامدون فى الحياة ثم أردف يقول : وهكذا أظن أننا توصلنا الى المعادلة التى تفتش عنها ·

قلت : استودعك الله وأعاهدك من الآن على القراءة الجادة ·

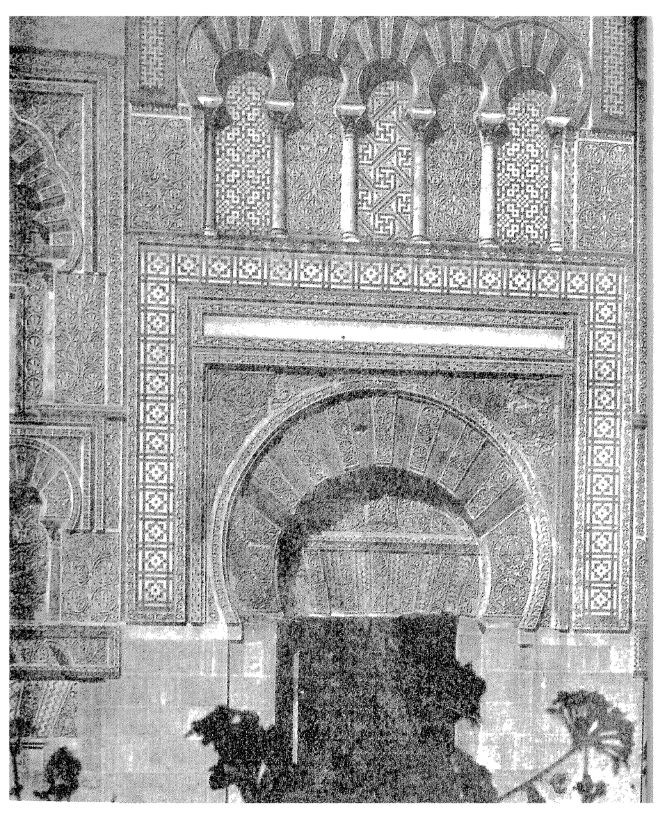
الحضارة الاسلامية
لاتنكر الفنون .. بل تهذبها

إن الفن في اى وقت من الأوقات تعبير عن الجمال ، وتجسيد حى لنمو احساسات الفرد لأن الفن الرفيع دليل على ذوق الفنان واتساع فوهة مداركه ، ورحابة فكره وعمق احساسه . من هذا المنطلق دأبت الدولة الاسلامية منذ أوائل عهودها على تشجيع الفن والفنانين ، وخصوصا بعدما تعرفت بغيرها من الامم الأخرى المجاورة كالرومان والمغول والاغريق والهنود والفرس ـ إن لم نقل اتحدت آنذاك معهم فكرياً وفنياً .

ومن الاسباب التى دعت الى ذلك التقارب الفكرى والفنى إتساع رقعة الدولة الاسلامية الحديثة ، وتبادل التجارة والخبرات الثقافية بينها وبين الدول الاخرى في تلك العصور ، مضافة إليها اسباب أخرى أهمها وفرة الأيدى الفنية العاملة ، ووجود الخامات المتنوعة التى تختزنها طبيعة ارض الدولة الاسلامية ثم قيام نوع من التشجيع المادى عند الخلفاء والأمراء في ذلك الوقت لاصحاب الفنون .

لم تكن الحضارة الاسلامية إلا كغيرها من الحضارات الأخرى التى تربى بين أحضانها الفن الجميل وارتفع مستواه فارتقت جميع ألوانه واقسامه الى ذروة الكمال فجاء فيما بعد فناً عربياً إسلامياً أصيلا ذا مستوى رفيع بعيد عن الكلفة والتقليد .

كان لابد على الدولة الاسلامية أن تختار أسلوبها البحت بكل صدق ، وتشق طريقها المتشعب الصعب بين غيرها من الأمم فتنشىء فناً له ميزته ومقوماته الخاصة ، وله اصالته الفنية ـ فجاء بعد ذلك فنا رائعا أبهر الفنانين الآخرين .. بل فاق ما عملوه في نفس الوقت .



روعة الفن المعماري ، وعظمة الزخرفة العربية المتمثلة في عقد احدى بوابات المسجد الجـــامع في قرطبة ..

لسنا بصدد البحث عن تلك الفنون التى انتشرت في عهود الدولة الاسلامية كالاموية والعباسية مثلا أو العهود الفاطمية والأيوبية ـ ولكن هناك بعض النماذج الفنية الخالدة التى تم انجازها وتحقيقها ، ومن هذه مانشاهده في عهد الدولة الأموية في الاندلس قصر الحمراء وغرناطة،وفي الشام الجامع الأموى الكبير وقبة ومسجد الصخرة بفلسطين ، أو كالمسجد الأزرق (جامع السلطان سليم) ايام العثمانيين وكجامع الأزهر الشريف أيام الفاطميين ، والنصب التذكارى تاج محل فى الهند خلال حكم المغول ٠

والحديث عن الفنون طويل وشيق ولا تفى هذه السطور بمجاله الواسع ، لكن حينما نتحدث بايجاز عن روعة الفن العربى والاسلامي ومجاله ، وحسن ادائه نجد أن هذه الاعمال تحتل الصدارة بين الاعمال التى كانت ، ولاتزال نموذجا حيا ينطق عن روعة الفن ويعبر بجلاء عن ارتقاء مختلف الفنون في تلك العهود .

على أن أية دولة من الدول مهما بلغت آنذاك من الامكانات والمهرة لن تصل ولم تضاه أعمالها ما وصل أليه الفن الاسلامي والعربى ٠ ولسنا هنا نطرق أبواب المجاملة والتملق وانما تشير الدلائل الصريحة في ذلك ، بل إن هناك من الفنانين الأجانب في شتى بقاع الأرض خير من يلمسون تلك الحقيقة ويقرون بها ــ وبالرغم انه قد مضى اكثر من سبعة قرون على انشاء تلك العمارات والابنية والأضرحة والاقنية والأروقة بشكلها الفني والهندسي البديع وحسن اختيار خاماتها وألوانها الرائعة .

ورب قائل يقول حين يجافى الواقع من أن إلفن الاسلامي ليس إلا فن فيه كثير من الاقتباس من الفنون الأخرى كالبيزنطية والساسانية والسومرية ، ولكن العكس هو الصحيح ــ إذ دأب العرب والمسلمون على دراسة مختلف الفنون دراسة مستفيضة وقيّموها ونقحوها واخترعوا الألوان الزاهية

ونقبوا عن الخامات الملائمة لها كالخزف والزجاج والمعادن وطعموها بشتى انواع المواد كما هو الحال في تطعيم الخشب بالعاج بعد حفره وتنويع اشكال الاسلحة والدروع وملابس الميدان وطلاء الخزف بالميناء ، والزجاج المختلط بالرصاص والمنسوجات المطرزة بالذهب ، وتكفيت التحف البرونزية بالنحاس والذهب والفضة · ولا جدال انهم اضافوا الى الفنون اشياء كثيرة فخلقوا بعد ذلك فناً اسلامياً له سماته الخاصة ومقوماته الفنية الجلية مما لايدع مجالا للشك على انه لم يكن قطعاً يميل الى التقليد أو ينحو الى الاقتباس وانما هو فن يتصف في جملته آنذاك بالبساطة وعدم التعقيد .

يقول الاستاذ عمر رضا كحالة فى كتابه (الفنون الجميلة فى العصور الأسلامية):

« ويمكن القول أن الفن الاسلامى له شخصية ، ووحدة نسبية بالاضافة الى انه آخر وليد فى فنون العالم القديم ، ولا بد أن يكون مديناً بالكثير للفنون التى سبقته ، ولما كان مهد الفنون آسيا الغربية التى شهدت ازدهار اكثر الحضارات اهمية ، فقد جنى من تراثها ، ولكنه اختار منه ماشاء ، وتمثل ما احتفظ به من عناصر ، ثم أعطى هذه العناصر طابعه الخاص ، واعطاها وجهاً جديداً » .

ولقد شاءت محاسن الصدف أن تبقى آثار تلك الفنون الجميلة خالدة تحمل كل معنى للذوق الرفيع والجمال الأخاذ رغم تقلبات العصور وكثرة المحن ووسائل التعرية لتحكي أبدا للاجيال القادمة عن مدى سحرها وجلالها وأصالتها ···

ولو أن الدولة الاسلامية في سابق عهدها الأول ساندت هذه الفنون المعمارية والاشكال الزخرفية ، وشجعتها معنوياً ومادياً لارتقى الفن ووصل

اكثر مما وصل إليه الآن . لكن الدولة في ذلك الوقت اتجهت الى فنون أخرى لاتقل قيمة واصالة عن غيرها ولها في نفس الوقت صلتها الوثيقة بالأدب والشعر والموسيقى والغناء واهملت جانب الرسم والحفر والنحت والتطعيم وهندسة العمارة وانتقاء الخامات الصالحة لهذا الغرض .

وبقيت الأمور كما هي لم تنل حصتها حتى نادى بعض كبار رجالات الدولة في العهد الأموى والفاطمى والمملوكي والعثماني بمساندة الفن والفنانين واجزلوا لهم العطاء وقربوهم من مجالسهم فبذلك شاع الفن ، وبرز الى الوجود وطغى على حياتهم الاجتماعية والعمرانية والأدبية .. لهذا نجد أن الحضارة الاسلامية لم تنكر الفنون في اى وقت بل هذبتها على مر العصور .

ـ تم بحمد الله ـ

أهم المصادر والمراجع :

١ـ القرآن الكريم والسيرة النبوية
٢ ـ الأسلام عقيدة وشريعة : فضيلة الشيخ محمود شلتوت
٣ ـ من توجيهات الأسلام :فضيلة الشيخ محمود شلتوت
٤ ـ طوق الحمامة : الفقيه علي بن سعيد بن حزم الاندلسي
٥ ـ الحب والزواج فلسفة وسنة : نقولا الحداد
٦ ـ تاريخ النظم القانونية والاجتماعية : الدكتور صوفي أبو طالب
٧ ـ مراجعات في الأدب والفنون : الاستاذ عباس محمود العقاد
٨ ـ المرأة في القرآن :الاستاذ عباس محمود العقاد
٩ ـ هذه الشجرة:الاستاذ عباس محمود العقاد
١٠ـ المرأة في القرن العشرين : جروان السابق
١١ ـ الحب والحياة : أبو القاسم محمد بدري
١ـ من هنا نعلم : الشيخ محمد الغزالي
١٣ ـ ظلام من الغرب : الشيخ محمد الغزالى
١٤ ـ قبض الريح : الاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى
١٥ ـ كيف نجح عبدالناصر : ر . ك . كارانجيا
١٦ ـ الشيخ والبحر : آرنست همنجواي
١٧ ـ لم تدق الأجراس : آرنست همنجواي
١٨ ـ الأسلام والأسرة : معوض عوض ابراهيم
١٩ ـ دفاع عن إفريقيا : سعد زغلول نصار
٢٠ ـ كتاب فلسفة الثورة : جمال عبدالناصر
٢١ ـ الوجه الآخر لأمريكا : ميكايل هارنغتون
٢٢ ـ معالم الحياة العربية الجديدة : الدكتور منيف الرزاز
٢٣ ـ التربية الاسلامية : محمد عطية إلابراشي

٢٤ ـ برتراندراسل ، حياته وأفكاره : الدكتور زكي نجيب محمود
٢٥ ـ بسكال : ترجمة نجيب بلدى .
٢٦ ـ جمال عبدالناصر من حصار الفالوجة حتى الاستقالة المستحيلة : جاك دومال ومارى لوروا .
٢٧ ـ حديث سر الحضارة ومفتاح التاريخ : الدكتور فؤاد صروف.
٢٨ ـ آلام فارتر : لغوتيه ترجمة أحمد حسن الزيات.
٢٩ ـ المجتمع العربى والقضية الفلسطينية : تأليف مجموعة من الاساتذة .
٣٠ ـ الشعب الفلسطينى من خلال الصحف والمجلات العربية والأجنبية.
٣١ ـ معذبوا الأرض : فرنتز فانون
٣٢ ـ مع القومية العربية : اصدار اتحاد بعثات الكويت في القاهرة عام ١٩٥٧
٣٣ ـ علم العلاقات الدولية : الدكتور محمد طه بدوي
٣٤ ـ الأيام : الدكتور طه حسين
٣٥ ـ عقائد المفكرين : الأستاذ عباس محمود العقاد .
٣٦ ـ كتاب كفاحي : هتلر .
٣٧ ـ العقائد الأسلامية : نديم الملاح .
٣٨ ـ اليهودى العالمى : هنرى فورد ـ تعريب خيري حماد .
٣٩ ـ الاسلام والمشكلة العنصرية : الاستاذ عبدالحميد العبادى.
٤٠ ـ محاضرات في نشؤ الفكرة القومية : الاستاذ ساطع الحصرى.
٤١ ـ اوراق الورد ـ مصطفى صادق الرافعي .
٤٢ ـ سطور مع العظيمات : محمد كامل حسن المحامى .
٤٣ ـ دراسات في حضارة الاسلام : المستشرق هاملتون جب .
٤٤ ـ جغرافية الجوع ـ جوزويه كسترو .
٤٥ ـ فجر الاسلام : أحمد أمين .
٤٦ ـ أليوت : تعريب الدكتور فائق متى .

٤٧ ـ التفكير فريضة إسلامية : الاستاذ عباس محمود العقاد .
٤٨ ـ الفلسفة الشرقية وفلسفة ابن رشد : محمد غلاب .
٤٩ ـ تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية : مصطفى عبدالرازق .
٥٠ ـ تاريخ الفلسفة الاوروبية في العصر الوسيط والحديث تأليف : يوسف كرم
٥١ ـ الاسلام فى عصر العلم : محمد فريد وجدي .
٥٢ ـ المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام : الشيخ محمد أبو زهرة .



المؤلف فى سطور :

* ولد بمدينة المحرق عام ١٩٤٠ وانهى تعليمه الابتدائى بمدرسة الهداية الخليفية عام ١٩٥٣

* إلتحق بشركة ارامكو بمنطقة الظهران عام ١٩٥٤ اثناء تواجد أسرته آنذاك ، عمل خطاطاً ورساماً ، ثم مسئولا عن قسم الاعلانات حتى نهاية ١٩٦٥ . وفى اثنا الفترة هذه اكمل المرحلة الاعدادية والثانوية بالمدارس السعودية .

* عاد الى البحرين فى اوائل عام ١٩٦٦ والتحق بشركة نفط البحرين وتقلب فى عدة وظائف بمعمل التكرير ، وشغل أخيراً مساعداً لشئون الموظفين .. وعن طريق الدراسة المنزلية أنهى التوجيهية العامة بالقسم الأدبى ، بالبحرين .

* كتب عدداً من البحوث والمقالات فى الادب والاجتماع والشعر الحر وقد نشرت له فى الصحف والمجلات المحلية والخليجية .. إنضم فى عام ١٩٦٩ كعضو عامل فى اسرة الادباء والكتاب فى البحرين .

* التحق عن طريق الانتساب بكلية الحقوق ، جامعة بيروت العربية وانهى السنوات الاولى من الدراسة ولم يزل بها لاعداد ونيل الليسانس .

للمؤلف

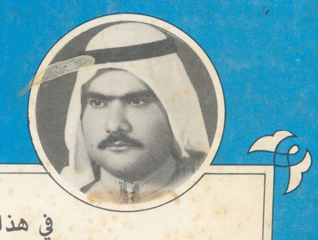
١ ـ حب وأصفاد (شعر) تحت الطبع
٢ ـ تأملات فى الصومعة (مقالات وبحوث) تحت الاعداد

* * *

فهرس الموضوعات

القسم الرابع





في هذا الكتاب

* ان الأدب هو الفكر النظرى الواعى المتصارع بالواقع والذى يتجسد فيه العطاء السخى بين أصحابه والجماهير ، فيكون مصدر الهام للخير والتعاون والتطور ، وتفضى دروبه قطعا الى نقطة واحدة هى ـ الانسان ٠

* نحن نؤمن بالحب الذى يهدى الى مشارف التسامح والصفاء الروحى ، والعقلى ويقود صاحبه الى رحاب الخير والانتاج الخلاق والعائد على المجتمع بالتقدم والسعادة ٠

* ان واقعنا اليوم ليس بواقع الأمس ، وفتاتنا فى الوقت الحاضر لديها من النضج العقلى لحل الأمور وتذليل المشاكل التى تجابهها بحصافة وتعمق ٠

* أنت ومضة نور فى عيون البائسين تخرق جدران الصمت ، وتنير الحياة الماضية فى موكب الحرية ٠٠ بل أنت جرعة إباء فى كأس التحدى تحضنها يد الاصرار ٠

* لم يعد الآن عصر أمان ومعجزات ولكنه عصر تفان ومنجزات ٠٠ عصر دراسة وتخطيط ضمن مفاهيم جديدة وجديرة بالبقاء ، ومن ثم تفهم لكل ما ينبثق ويطرأ على هذا العالم كل يوم ٠٠ بل كل طرفة عين !

* إن الانسان الذى يسعى جاهداً ، ويعمل بصمت واصرار واباء/النماء والخصب لغيره ، ويسعد الملايين من حوله ـ لايحق لنا أن نقيس مجهوده بلونه وجنسه وقوميته ٠